سورة الفاتحة

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾

وفيها أربعة أبواب :

الباب الأول: في فضائلها وأسمائها

وفيه سبع مسائل :

الأولى: روى الترمذيّ عن أُبَيّ بن كعب قال قال رسول الله ﷺ : «ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن وهي السبع المثاني وهي مقسومة بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل»(١) ، وأخرج مالك عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب : أن أبا سعيد مولى عبد اللَّه بن عامر بن كريز أخبره أن رسول الله ﷺ نادى أُبَيّ بن كعب وهو يصلّي ؛ فذكر الحديث(٢) . قال ابن عبد البر : أبو سعيد لا يوقف له على اسم وهو معدود في أهل المدينة ، روايته عن أبي هريرة وحديثه هذا مرسل ؛ وقد روى هذا الحديث عن أبي سعيد بن المُعَلَّى رجلٌ من الصحابة لا يوقف على اسمه أيضاً ؛ رواه عنه حفص بن عاصم ، وعبيد بن حُنين .

قلت: كذا قال في «التمهيد» : «لا يوقف له على اسم»(٣) . وذكر في كتاب «الصحابة» الاختلاف في اسمه . والحديث خرّجه البخاري عن أبي سعيد بن المُعَلَّى قال : كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه ، فقلت : يا رسول الله إني كنت أصلي ؛ فقال : «ألم يقل الله : ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾» [الأنفال : ٢٤] ثم قال : «إني لأعلمنّك سورة هي أعظم السُّوَر في القرآن قبل أن تخرج من المسجد» ثم أخذ بيدي ، فلما أراد أن يخرج قلت له : ألم تقل لأعلمنّك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟ قال : «الحمد لله ربّ العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيتُه»(٤) . قال ابن عبد البر وغيره : أبو سعيد بن المعلى من جِلّة الأنصار ، وسادات الأنصار ، تفرّد به البخاري ، واسمه رافع ، ويقال : الحارث بن نُفيع بن المعلى ، ويقال : أوْس بن المعلى ، ويقال : أبو سعيد بن أوس بن المعلى» تُوُفّيَ سنة أربع وسبعين وهو ابن أربع وستين سنة ، وهو أوّل من صلّى إلى القِبْلة حين حُوّلت ،

(١) صحيح : الترمذي (٣١٢٥) في التفسير ، عن أبي هريرة عن أبي بن كعب رضي الله عنهما وصححه الألباني (٢/ ٢١٦) في التعليق الرغيب .

(٢) منقطع : وقد سبق في الموطأ (٣٧) في كتاب الصلاة .

(٣) انظر : التمهيد (٢٠/ ٢١٧) لابن عبد البر المالكي (وهو شرح الموطأ) ط وزارة الأوقاف المغربية .

(٤) صحيح : البخاري (٤٤٧٤) في التفسير .

وسيأتي. وقد أسند حديثَ أُبَيٍّ يزيدُ بن زُرَيع قال: حـدّثنا روح بن القاسم عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله ﷺ على أُبَيّ وهو يصلي؛ فذكر الحديث بمعناه.

وذكر ابن الأنباري في كتاب «الردّ» لـه: حدّثني أبي حدّثني أبو عبيد الله الورّاق حدّثنا أبو داود حدّثنا شَيبان عن منصور عن مجاهد قال: إن إبليس لعنه الله رنَّ أربع رنات: حين لُعن، وحين أهبط من الجنة، وحين بُعث محمد ﷺ، وحين أنزلت فاتحة الكتاب، وأنزلت بالمدينة[1].

الثانية: اختلف العلماء في تفضيل بعض السُّوَر والآي على بعض، وتفضيل بعض أسماء الله تعالى الحسنى على بعض؛ فقال قوم: لا فضل لبعض على بعض؛ لأن الكل كلام الله، وكذلك أسماؤه لا مفاضلة بينها. ذهب إلى هذا الشيخ أبو الحسن الأشعري، والقاضي أبو بكر بن الطيب، وأبو حاتم محمد بن حبان البُسْتي، وجماعة من الفقهاء. ورُوي معناه عن مالك. قال يحيى بن يحيى: تفضيل بعض القرآن على بعض خطأ؛ وكذلك كره مالك أن تعاد سورة أو تردّد دون غيرها. وقال عن مالك في قول الله تعالى: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البقرة:١٠٦] . قال: محكمة مكان منسوخة. وروى ابن كنانة مثل ذلك كله عن مالك. واحتج هؤلاء بأن قالوا: إن الأفضل يُشعر بنقص المفضول؛ والذاتيّة في الكل واحدة، وهي كلام الله، وكلام الله تعالى لا نقص فيه. قال البُسْتيّ: ومعنى هذه اللفظة «ما في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن»: أن الله تعالى لا يُعطي لقارئ التوراة والإنجيل من الثواب مثل ما يُعطي لقارئ أم القرآن، إذ الله بفضله فضّل هذه الأمة على غيرها من الأمم، وأعطاها من الفضل على قراءة كلامه أكثر مما أعطى غيرها من الفضل على قراءة كلامه، وهو فضل منه لهذه الأمة. قال ومعنى قوله: «أعظم سورة» أراد به في الأجر، لا أن بعض القرآن أفضل من بعض. وقال قوم بالتفضيل، وأن ما تضمنه قوله تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣] ، وآية الكرسي، وآخر سورة الحشر، وسورة الإخلاص من الدّلالات على وحدانيّته وصفاته ليس موجوداً مثلاً في ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد:١] وما كان مثلها.

والتفضيل إنما هو بالمعاني العجيبة وكثرتها، لا من حيث الصفة؛ وهذا هو الحق. وممن قال بالتفضيل إسحاق بن رَاهَوَيْه وغيره من العلماء والمتكلمين، وهو اختيار القاضي أبي بكر بن العربيّ وابن الحصار؛ لحديث: أبي سعيد بن المُعَلَّى وحديث أُبيّ بن كعب أنه قال قال لي رسول الله ﷺ: «يا أُبَيّ أيّ آية معك في كتاب الله أعظم؟» قال فقلت: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة:٢٥٥] . قال: فضرب في صدري وقال: «ليهنك العلْمُ يا أبا المنذر» أخرجه البخاري ومسلم[2].

قال ابن الحصار: عجبي ممن يذكر الاختلاف مع هذه النصوص.

وقال ابن العربي: قوله: «ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثلها» وسكت عن سائر الكتب، كالصحف المنزّلة والزبور وغيرها؛ لأن هذه المذكورة أفضلها، وإذا كان الشيء أفضلَ الأفضل، صار أفضلَ الكل؛ كقولك: زيد أفضل العلماء، فهو أفضل الناس.

---

(١) صحيح : من طريق مجاهد عن أبي هريرة وغيره وقال الهيثمي (٣/ ١٦) في المجمع : «رواه الطبراني في الأوسط ورجاله موثقون» .

(٢) متفق عليه : البخاري (٣٨٠٩) في مناقب الأنصار وليس فيه :« ليهنك العلم » ، ومسلم (٨١٠) في صلاة المسافرين بلفظه .

وفي الفاتحة من الصفات ما ليس لغيرها؛ حتى قيل: إن جميع القرآن فيها. وهي خمس وعشرون كلمة تضمنت جميع علوم القرآن. ومن شرفها أن الله سبحانه قسمها بينه وبين عبده، ولا تصح القُرْبَة إلا بها، ولا يلحق عمل بثوابها، وبهذا المعنى صارت أم القرآن العظيم، كما صارت ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن، إذ القرآن توحيد وأحكام ووعظ، و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فيها التوحيد كله، وبهذا المعنى وقع البيان في قوله عليه السلام لأبيّ: «أي آية في القرآن أعظم؟» قال: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ وإنما كانت أعظم آية لأنها توحيد كلها كما صار قوله: «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له» (١) أفضلَ الذكر؛ لأنها كلمات حَوَت جميع العلوم في التوحيد، والفاتحةُ تضمنت التوحيد والعبادة والوعظ والتذكير، ولا يستبعد ذلك في قدرة الله تعالى.

الثالثة: روى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «فاتحة الكتاب، وآية الكرسي، و﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨] و﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ [آل عمران: ٢٦ هذه الآيات معلّقات بالعرش ليس بينهن وبين الله حجاب»(٢). أسنده أبو عمرو الداني في كتاب البيان له.

الرابعة: في أسمائها، وهي اثنا عشر اسماً:

الأوّل: الصلاة، قال الله تعالى: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين» الحديث(٣). وقد تقدّم.

الثاني: سورة الحمد، لأن فيها ذكر الحمد؛ كما يقال: سورة الأعراف، والأنفال، والتوبة، ونحوها.

الثالث: فاتحة الكتاب، من غير خلاف بين العلماء؛ وسُمِّيت بذلك لأنه تُفتتح قراءة القرآن بها لفظاً، وتُفتتح بها الكتابة في المصحف خطّاً، وتُفتتح بها الصلوات.

الرابع: أم الكتاب، وفي هذا الاسم خلاف، جوّزه الجمهور، وكرهه أنس والحسن وابن سيرين. قال الحسن: أم الكتاب الحلال والحرام، قال الله تعالى: ﴿آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧]. وقال أنس وابن سيرين: أم الكتاب اسم اللّوح المحفوظ. قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾ [الزخرف: ٤].

الخامس: أم القرآن، واختلف فيه أيضاً، فجوّزه الجمهور، وكرهه أنس وابن سيرين؛ والأحاديث الثابتة تردّ هذين القولين. روى الترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «الحمد لله أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني»(٤) قال: هذا حديث حسن صحيح. وفي البخاري قال: وسُمِّيت أم الكتاب لأنه يُبتدأ بكتابتها في المصاحف، ويُبدأ بقراءتها في الصلاة. وقال يحيى بن يَعْمر: أُمّ القُرَى: مكة، وأُمّ خُراسان: مَرْوُ، وأم القرآن: سورة الحمد. وقيل: سُمِّيت أم القرآن لأنها أوّله ومتضمّنة لجميع علومه، وبه سُمِّيت مكة أم القُرَى لأنها أوّل الأرض ومنها دُحيت(٥)، ومنه سُمِّيت الأم أُمّاً لأنها أصل النّسل، والأرض أمّاً، في قول أُمَيّة بن أبي الصَّلْت:

فالأرضُ مَعْقِلُنا وكانت أمّنا ... فيها مَقَابِرُنَا وفيها نُولَدُ

---

(١) حسن: حسنه الألباني (١١٠٢) في صحيح الجامع.

(٢) موضوع: وفي المتن نكارة شديدة، وفيه الحارث بن عمير تفرد به ويروى الموضوعات عن الأثبات. وانظر: الفوائد المجموعة (٢٩٧) للشوكاني.

(٣، ٤) صحيحان: وقد سبقا، والحديث الثاني له رواية عند البخاري (٤٤٢٧) في التفسير.

(٥) دحيت: بسطت. مختار الصحاح (ص ٢٠٠).

ويقال لراية الحرب: أمّ؛ لتقدمها واتباع الجيش لها. وأصل أم أُمّهة، ولذلك تجمع على أمهات، قال الله تعالى: ﴿أُمَّهَاتُكُمْ﴾ [النساء:٢٣]. ويقال أمّات بغيرهاء. قال:

فَرَجْتَ الظَّلاَمَ بِأُمّاتِكا

وقيل: إن أمهات في الناس، وأمّات في البهائم؛ حكاه ابن فارس في «المجمل».

السادس: المثاني، سميت بذلك لأنها تُثنى في كل ركعة. وقيل: سميت بذلك لأنها استثنيت لهذه الأمة فلم تنزل على أحد قبلها ذُخْراً لها.

السابع: القرآن العظيم، سميت بذلك لتضمنها جميع علوم القرآن، وذلك أنها تشتمل على الثناء على الله عز وجلّ بأوصاف كماله وجلاله، وعلى الأمر بالعبادات والإخلاص فيها، والاعتراف بالعجز عن القيام بشيء منها إلا بإعانته تعالى، وعلى الابتهال إليه في الهداية إلى الصراط المستقيم؛ وكفاية أحوال الناكثين[١]، وعلى بيانه عاقبة الجاحدين.

الثامن: الشفاء، روى الدارميّ عن أبي سعيد الخُدْرِي قال قال رسول الله ﷺ: «فاتحة الكتاب شفاء من كل سم»[٢].

التاسع: الرُّقَية، ثبت ذلك من حديث أبي سعيد الخُدْرِيّ وفيه: أن رسول الله ﷺ قال للرجل الذي رَقَى سيّد الحيّ: «ما أدراك أنها رُقْية»[٣] فقال: يا رسول الله شيء أُلْقِيَ في رُوعِي؛ الحديث. خرّجه الأئمة، وسيأتي بتمامه.

العاشر: الأساس، شكا رجل إلى الشعبيّ وجع الخاصرة؛ فقال: عليك بأساس القرآن فاتحة الكتاب، سمعت ابن عباس يقول: لكل شيء أساس، وأساس الدنيا مكة، لأنها منها دُحِيَت؛ وأساس السموات عَرِيبا، وهي السماء السابعة؛ وأساس الأرض عجيبا، وهي الأرض السابعة السفلى؛ وأساس الجنان جنة عدن، وهي سُرّة الجنان عليها أسِّست الجنة؛ وأساس النار جهنم، وهي الدركة السابعة السفلى عليها أسست الدركات، وأساس الخلق آدم، وأساس الأنبياء نوح؛ وأساس بني إسرائيل يعقوب؛ وأساس الكتب القرآن؛ وأساس القرآن الفاتحة؛ وأساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم؛ فإذا اعتللت أو اشتكيت فعليك بالفاتحة تُشْفَى[٤].

الحادي عشر: الوافية، قاله سفيان بن عُيَيْنة، لأنها لا تتنصف ولا تحتمل الاختزال، ولو قرأ من سائر السور نصفها في ركعة، ونصفها الآخر في ركعة لأجزأ؛ ولو نصفت الفاتحة في ركعتين لم يجز.

الثاني عشر: الكافية، قال يحيى بن أبي كثير: لأنها تكفي عن سواها ولا يكفي سواها عنها. يدل عليه ما روى محمد بن خلاّد الإسكندراني قال قال النبيّ ﷺ: «أم القرآن عِوَض من غيرها وليس غيرها منها عِوَضاً»[٥].

---

(١) الناكثون: الناقضون. اللسان «نكث».

(٢) موضوع: سعيد بن منصور (٢/ ٥٣٥) في سننه، والدارمي (٢/ ٤٤٥)، ولكن بلفظ «داء» بدلا من «سم»، وضعفه الألباني (٣٩٩٧) في الضعيفة وقال: «موضوع».

(٣) متفق عليه: البخاري (٥٧٣٧) في الطب، ومسلم (٢٢٠١) في السلام.

(٤) كذا ذكره السيوطي (١/ ٩) في تفسيره، وعزاه للثعلبي بلا سند فهو ضعيف جدًا، وانظر العظمة (٤/ ١٣٨٨) لأبي الشيخ بسند ضعيف.

(٥) ضعيف: الحاكم في المستدرك (١/٢٣٨) عن عبادة بن الصامت، وضعفه الألباني (١٢٧٤) في ضعيف الجامع.

الخامسة: قال المهلب: إن موضع الرقية منها إنما هو ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] . وقيل: السورة كلها رقية، لقوله عليه السلام للرجل لما أخبره: «وما أدراك أنها رقية؟» ولم يقل: إن فيها رقية؛ فدل هذا على أن السورة بأجمعها رقية؛ لأنها فاتحة الكتاب ومبدؤه، ومتضمنة لجميع علومه، كما تقدّم والله أعلم.

السادسة: ليس في تسميتها بالمثاني وأم الكتاب ما يمنع من تسمية غيرها بذلك، قال الله عزّ وجلّ: ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣] فأطلق على كتابه: مثاني؛ لأن الأخبار تثنى فيه. وقد سميت السبع الطول أيضاً مثاني؛ لأن الفرائض والقصص تثنى فيها. قال ابن عباس: أوتي رسول الله ﷺ سبعاً من المثاني؛ قال: السبع. ذكره النسائي، وهي من «البقرة» إلى «الأعراف» ست، واختلفوا في السابعة، فقيل: يونس، وقيل: الأنفال والتوبة؛ وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير. وقال أعشى همدان:

فلجُوا المسجدَ وادعوا ربَّكم ... وادرسوا هذي المثاني والطُّوَل

وسيأتي لهذا مزيد بيان في سورة «الحجر» إن شاء الله تعالى.

السابعة: المثاني جمع مثنى، وهي التي جاءت بعد الأولى، والطُّوَل جمع أطْوَل. وقد سُمِّيت الأنفال من المثاني لأنها تتلو الطُّوَل في القدر. وقيل: هي التي تزيد آياتها على المفصل وتنقص عن المئين. والمئون: هي السُّوَر التي تزيد كل واحدة منها على مائة آية.

الباب الثاني: في نزولها وأحكامها

وفيه عشرون مسألة:

الأولى: أجمعت الأمة على أن فاتحة الكتاب سبع آيات؛ إلا ما روي عن حسين الجُعْفي: أنها ست؛ وإلا ما روي عن عمرو بن عبيد[1] أنه جعل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ آية وهي على عده ثماني آيات وهذا شاذ. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ [الحجر: ٧٨] . وقوله: «قسمت الصلاة» الحديث يرد هذين القولين.

وأجمعت الأمة أيضاً على أنها من القرآن. فإن قيل: لو كانت قرآناً لأثبتها عبد الله بن مسعود في مصحفه، فلما لم يثبتها دل على أنها ليست من القرآن، كالمعوذتين عنده.

فالجواب ما ذكره أبو بكر الأنباري قال: حدّثنا الحسن بن الحُبَاب، حدّثنا سليمان بن الأشعث، حدثنا ابن أبي قُدامة حدّثنا جرير عن الأعمش قال: أظنه عن إبراهيم قال: قيل لعبد الله بن مسعود: لِم لم تكتب فاتحة الكتاب في مصحفك؟ قال: لو كتبتها لكتبتها مع كل سورة. قال أبو بكر: يعني أن كل ركعة سبيلها أن تفتتح بأم القرآن قبل السورة المتلوة بعدها، فقال: اختصرت بإسقاطها، ووثقت بحفظ المسلمين لها، ولم أثبتها في موضع فيلزمني أن أكتبها مع كل سورة، إذ كانت تتقدمها في الصلاة[2].

---

(١) هو المؤسس الشريك لـ (واصل بن عطاء) ، وقد أسسا فرقة المعتزلة ـ قبحهما الله ـ وقَبَّحَ من قال بقولهما .

(٢) الأثر فيه ضعف، فالأعمش مدلس رغم كونه ثقة، فما بالك وقد شكَّ ؟!

ثم إبراهيم هو النخعي ولا سماع له من ابن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ وإنما سماعه من التابعين الذين سمعوا عن ابن مسعود كخاله ومسروق ، وعلقمة بن قيس .

الثانية: اختلفوا: أهي مكيّة أم مَدَنية؟. فقال ابن عبـاس وقتادة وأبو العالية الرياحي واسمه رُفيع وغيرهم: هي مكية. وقال أبو هريرة ومجاهد وعطاء بن يسار والزهري وغيرهم: هي مدنية. ويقال: نزل نصفـها بمكة، ونصـفـها بالمدينة. حكاه أبو الليث نصـر بن محمـد بن إبراهيم السَّمَـرْقَنْدي في تفسيره. والأوّل أصح لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٧٨] ، والحِجْرُ مكية بإجماع. ولا خـلاف أن فرض الصلاة كان بمكة. وما حُفظ أنه كان في الإسـلام قط صلاة بغير ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يدل على هذا قوله عليه السلام: «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب»(١). وهذا خبر عن الحُكْم، لا عن الابتداء، والله أعلم.

وقد ذكر القـاضي ابن الطيب اختلاف الناس في أوّل ما نزل من القرآن؛ فـقيل: المدثر، وقيل: اقرأ، وقيل: الفاتحة. وذكر البَيْهقي في «دلائل النبوّة» عن أبي ميسرة عمرو بن شَرَحْبيل أن رسول الله ﷺ قال لخديجة: «إني إذا خلوت وحدي سمـعت نداء وقد والله خشيت أن يكون هذا أمرا» قالت: معاذ الله ما كـان الله ليفعل بك، فوالله إنك لتؤدّي الأمانة، وتَصِل الرّحِـم، وتَصْدُقُ الحديث. فلما دخل أبو بكر وليس رسول الله ﷺ ثَمّ ذكرت خديجة حديثـه له، قالت: يا عَتِيق، اذهب مع محمد إلى وَرَقة بن نَوْفل. فلما دخل رسول الله ﷺ أخذ أبو بكر بيـده، فقال: انطلق بنا إلى وَرَقة، فقال: «ومن أخبرك؟». قـال: خديجة، فانطلقـا إليه فقصـا عليه؛ فقال: «إذا خلوتُ وحـدي سمعتُ نداء خلفي يا محمـد يا محمد فأنطلق هاربـاً في الأرض» فقال: لا تفعل، إذا أتاك فاثْبُت حـتى تسمع ما يقول ثم ائتني فـأخبرني. فلمـا خلا ناداه: يا محـمد، قل ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حتى بلغ - وَلَا الضَّالِّينَ﴾، قل: لا إله إلا الله. فأتى ورقـة فذكر ذلك له؛ فقـال له ورَقَة: أبشر ثم أبشر، فأنا أشهد أنك الذي بَشّر به عـيسى ابن مريم، وأنك على مثل ناموس موسى، وأنك نبيّ مرسل، وأنك سوف تؤمر بالجهاد بعد يومك هذا، وإن يدركني ذلك لأجاهدنَ معك. فلما تُوُفّيَ ورقة قال رسـول الله ﷺ: «لقد رأيت القَسَّ في الجنة عليه ثياب الحـرير لأنه آمن بي وصدّقني» يعني ورقة. قال البَـيْهَقي رضي الله عنه: هذا منقطع. يعني هذا الحديث، فـإن كان محفوظاً فيـحتمل أن يكون خبراً عن نزولها بعدما نزل عليه ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] ، و﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ (٢).

الثالثة: قال ابن عطية: ظن بعض العلماء أن جبريـل عليه السلام لم ينزل بسورة الحمد؛ لما رواه مسلم عن ابن عباس قـال: بينما جبريل قاعد عند النبيّ ﷺ سـمع نَقيضاً(٣) من فوقه، فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم لم يُفتح قط إلا اليوم. فنزل منه مَلَك، فقال: هذا ملَك نزل إلى

---

(١) صحيح : مسلم (٣٩٤) في الصلاة ، وأبو داود (٨٢٢) في الصـلاة ، والترمذي (٢٤٧) في الصلاة، وابن ماجه (٨٣٧) فى إقامة الصلاة والسنة فيها .

(٢) منقطع : البيـهقي (٢/ ١٥٨، ١٥٩) في الدلائل ، وقال ابن كـثير (٣/ ١٠) بعد أن ذكـره في البداية : « وهذا لفظ البيهقي وهو مرسل وفيه غرابة وهو كون الفاتحة أول ما نزل» .
وذكـره الواحدي بدون ذكـر وفاة ورقـة ، ثم قـال : « وهذا قول علي بـن أبي طالب رضي الله عنه ». انظر: أسباب النزول (ص ٢٣) للواحدي .

(٣) النقيض: الصوت ، ونقيض المحامل : صوتها ، ونقيض السقف : تحريك خشبه كذا في النهاية (٥/ ١٠٧) لابن الأثير ـ رحمه الله . وقال النووي (٣/ ٣١٨) فى شرح مسلم : «صوتًا كصوت الباب إذا فُتح ».

الأرض لم ينزل قطّ إلا اليوم؛ فسلّم وقال: أبشر بنورين أوتيتَهما لم يُؤتَهما نبيّ قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة؛ لن تقرأ بحرف منهما إلا أُعطيتَه [١]. قال ابن عطية: وليس كما ظنّ، فإن هذا الحديث يدل على أن جبريل عليه السلام تقدّم المَلَك إلى النبيّ ﷺ مُعْلِماً به وبما ينزل معه؛ وعلى هذا يكون جبريل شارك في نزولها؛ والله أعلم.

قلت: الظاهر من الحديث يدل على أن جبريل عليه السلام لم يعلم النبيّ ﷺ بشيء من ذلك. وقد بينا أن نزولها كان بمكة، نزل بها جبريل عليه السلام، لقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾ [الشعراء:١٩٣] وهذا يقتضي جميع القرآن، فيكون جبريل عليه السلام نزل بتلاوتها بمكة، ونزل المَلَك بثوابها بالمدينة. والله أعلم. وقد قيل: إنها مكية مدنية، نزل بها جبريل مرتين؛ حكاه الثعلبي. وما ذكرناه أولى. فإنه جمع بين القرآن والسُّنة، ولله الحمد والمِنّة.

الرابعة: قد تقدّم أن البسملة ليست بآية منها على القول الصحيح، وإذا ثبت ذلك فحكم المصلّي إذا كبّر أن يصلها بالفاتحة ولا يسكت، ولا يذكر توجيهاً ولا تسبيحاً، لحديث عائشة وأنس المتقدّمَيْن وغيرهما، وقد جاءت أحاديث بالتوجيه والتسبيح والسكوت، قال بها جماعة من العلماء؛ فروي عن عمر بن الخطاب وعبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنهما أنهما كانا يقولان إذا افتتحا الصلاة: سبحانك اللَّهُمّ وبحمدك، تبارك اسمك، وتعالى جَدّك، ولا إله غيرك. وبه قال سفيان وأحمد وإسحق وأصحاب الرأي. وكان الشافعيّ يقول بالذي رُوي عن عليّ عن النبيّ ﷺ: أنه كان إذا افتتح الصلاة كبر ثم قال: «وَجّهت وجهي» الحديث، ذكره مسلم [٢]، وسيأتي بتمامه في آخر سورة «الأنعام»، وهناك يأتي القول في هذه المسألة مستوفًى إن شاء الله.

قال ابن المنذر: ثبت أن رسول الله ﷺ كان إذا كبّر في الصلاة سكت هُنَيْهَةً [٣] قبل أن يقرأ يقول: «اللّهُمّ باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللّهُمّ نَقِّني من خطاياي كما يُنَقَّى الثوب الأبيض من الدَّنَس اللّهمّ اغسلني من خطاياي بالماء والثّلج والبَرَد» [٤] واستعمل ذلك أبو هريرة. وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن: للإمام سكتتان فاغتنموا فيهما القراءة. وكان الأوزاعيّ وسعيد بن عبد العزيز وأحمد بن حنبل يميلون إلى حديث النبيّ ﷺ في هذا الباب.

الخامسة: اختلف العلماء في وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة؛ فقال مالك وأصحابه: هي متعيّنة للإمام والمنفرد في كل ركعة. قال ابن خُوَيز مَنْدَاد [٥] البصري المالكي: لم يختلف قول مالك: إنه من نَسِيَها في صلاة ركعة من صلاة ركعتين أن صلاته تبطل ولا تجزيه. واختلف قولُه فيمن تركها ناسياً في ركعة من صلاة رباعية أو ثلاثية؛ فقال مرة: يعيد الصلاة، وقال مرة أخرى: يسجد سجدتي السهو؛ وهي رواية ابن عبد الحكيم وغيره عن مالك. قال ابن خُويز منداد وقد قيل: إنه يعيد تلك

---

(١) صحيح: مسلم (٨٠٦/ ٢٥٤) في صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) صحيح: مسلم (٧٧١/ ٢٠١، ٢٠٢) في صلاة المسافرين وقصرها.

(٣) هُنَيْهَة: القليل من الزمان، ويقال هُنَيَّة. اللسان (٦/ ٤٧١٣).

(٤) متفق عليه: البخاري (٧٤٤) في الأذان، ومسلم (٥٩٨/ ١٤٧) في المساجد عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خويز منداد: متكلم، أصولي، فقيه، وله كتاب كبير في الخلاف.

الركعة ويسجد للسهو بعد السلام. قال ابن عبد البرّ: الصحيح من القول إلغاء تلك الركعة ويأتي بركعة بدلاً منها، كمن أسقط سجدةً سهواً. وهو اختيار ابن القاسم. وقال الحسن البصري وأكثر أهل البصرة والمغيرة بن عبد الرحمن المخزومي المدني: إذا قرأ بأم القرآن مرة واحدة في الصلاة أجزأه ولم تكن عليه إعادة؛ لأنها صلاة قد قرأ فيها بأم القرآن؛ وهي تامة لقوله عليه السلام: «لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن» (١)، وهذا قد قرأ بها.

قلت: ويحتمل لا صلاة لمن لم يقرأ بها في كل ركعة، وهو الصحيح على ما يأتي. ويحتمل لا صلاة لمن لم يقرأ بها في أكثر عدد الركعات، وهذا هو سبب الخلاف، والله أعلم.

وقال أبو حنيفة والثّوري والأوزاعيّ: إن تركها عامداً في صلاته كلها وقرأ غيرها أجزأه؛ على اختلاف عن الأوزاعيّ في ذلك. وقال أبو يوسف ومحمد بن الحسن: أقله ثلاث آيات أو آية آية طويلة كآية الدَّين. وعن محمد بن الحسن أيضاً قال: أسوّغ(٢) الاجتهاد في مقدار آية ومقدار كلمة مفهومة؛ نحو: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾. ولا أسوّغه في حرف لا يكون كلاماً.

وقال الطبريّ: يقرأ المصلي بأم القرآن في كل ركعة، فإن لم يقرأ بها لم يجزه إلا مثلها من القرآن عدد آيها وحروفها. قال ابن عبد البرّ: وهذا لا معنى له؛ لأن التعيين لها والنص عليها قد خصها بهذا الحكم دون غيرها؛ ومحال أن يجيء بالبدل منها من وجبت عليه فتركها وهو قادر عليها، وإنما عليه أن يجيء بها ويعود إليها، كسائر المفروضات المتعيّنات في العبادات(٣).

السادسة: وأما المأموم فإن أدرك الإمام راكعاً فالإمام يحمل عنه القراءة؛ لإجماعهم على أنه إذا أدركه راكعاً أنه يكبّر ويركع ولا يقرأ شيئاً، وإن أدركه قائماً فإنه يقرأ، وهي المسألة:

السابعة: ولا ينبغي لأحد أن يدع القراءة خلف إمامه في صلاة السِّر؛ فإن فعل فقد أساء؛ ولا شيء عليه عند مالك وأصحابه. وأما إذا جهر الإمام وهي المسألة:

الثامنة: فلا قراءة بفاتحة الكتاب ولا غيرها في المشهور من مذهب مالك؛ لقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، وقول رسول الله ﷺ: «مالي أنازع القرآن»(٤)، وقوله في الإمام: «إذا قرأ فأنصتوا»(٥)، وقوله: «من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة»(٦).

وقال الشافعي فيما حكى عنه البُوَيْطيّ، وأحمد بن حنبل: لا تجزئ أحداً صلاةٌ حتى يقرأ بفاتحة الكتاب في كل ركعة، إماماً كان أو مأموماً، جَهَر إمامُه أو أسرّ. وكان الشافعيّ بالعراق يقول في

---

(١) صحيح: مسلم (٣٩٤/ ٣٦) في الصلاة، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه وهو لفظه.

(٢) سوغ: جوّز مختار الصحاح (ص ٢٣١).

(٣) التمهيد (١٤/ ١٣٠) لابن عبد البر.

(٤) صحيح: الترمذي (٣١٢) في الصلاة، وصححه الألباني هناك، وفي صحيح أبي داود (٧٨١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) صحيح: مسلم (٤٠٤/ ٦٣) في الصلاة، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٦) ضعيف جداً: مجمع الزوائد (٢/ ١١١) للهيثمي، وعزاه للطبراني بإسناد فيه أبو هارون العبدي وهو متروك، ورواه الدارقطني (١/ ٣٢٣) في سننه عن جابر وضعفه، ورواه (١/ ٤٠٣) عن أبي هريرة وضعفه.
قلت: فهو لا يصح.

المأموم: يقرأ إذا أسرّ ولا يقـرأ إذا جَهَر؛ كمشهور مذهـب مالك. وقال بمصر: فيما يجهـر فيه الإمام بالقراءة قولان: أحدهما أن يقرأ، والآخـر يجزئه ألا يقرأ ويكتفي بقراءة الإمام. حكاه ابن المنذر[١]. وقال ابن وهب وأشهب وابن عبد الحكم وابن حبيب والكوفيون: لا يقـرأ المأموم شيئاً، جَهَر إمامه أو أسَرّ؛ لقوله عليه السـلام: «فقراءة الإمام له قراءة» وهذا عام، ولقول جـابر: مَن صلى ركعة لم يقرأ فيها بأم القرآن فلم يُصَلّ إلا وراء الإمام.

التاسعة: الصحيح من هذه الأقوال قـول الشافعي وأحمد ومالك في القـول الآخر، وأن الفاتحة متعيّنة في كل ركـعة لكل أحـد على العـموم؛ لقـوله ﷺ: «لا صلاة لمن لم يـقرأ فـيهـا بفاتحـة الكتاب»[٢]، وقوله: «مَن صلى صلاةً لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خِداج» ثلاثاً[٣]. وقال أبو هريرة: أمرني رسول الله ﷺ أن أنادي أنه: «لا صلاة إلا بقراءة فاتحة الكتاب»[٤] فما زاد أخرجه أبو داود. كما لا ينوب سجود ركعة ولا ركوعها عن ركعة أخرى، فكذلك لا تنوب قراءة ركعة عن غيرها؛ وبه قال عبد الله بن عَوْن وأيوب السّختيـاني وأبو ثَور وغيره من أصحاب الشافعيّ وداود بن عليّ، وروى مثله عن الأوزاعي؛ وبه قال مكحول.

وروي عن عـمـر بن الخطاب وعـبـد اللَّه بن عـبـاس وأبي هريـرة وأُبَي بن كـعب وأبي أيوب الأنصاري وعبـد اللَّه بن عمرو بن العـاص وعُبادة بن الصّامت وأبي سـعيد الخُدْري وعثـمان بن أبي العاص وخَوّات بن جُبير أنهم قالوا: لا صلاة إلا بفـاتحة الكتاب. وهو قول ابن عمـر والمشهور من مذهب الأوزاعي؛ فهؤلاء الصحابة بهم القُدوة، وفيهم الأسْوة، كلهم يوجبون الفاتحة في كل ركعة.

وقد أخرج الإمام أبو عبد اللَّه محمد بن يزيد بن ماجه القزويني في سُننه ما يرفع الخلاف ويزيل كل احتمال فقال: حدثنا أبو كُريب حدّثنا محـمد بن فضيل، ح، وحدّثنا سُوَيد بن سعيد حدّثنا علي

---

(١) انظر: الأوسط لابن المنذر (٤/ ٢٢٤) فقرة (١٢٧١).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) صحيح: قطعة من حديث أبي هريـرة رضي الله عنه، وفيه: «قـسمت الصلاة بيني وبين عـبدي ...»، رواه مسلم (٣٩٥) في الصلاة.

خداج: النقصان كذا في النهاية (٢/ ١٢) لابن الأثير.

وقال الشـيخ ابن عثيـمين ـ رحمه الله: «وقـراءتها ـ أي الفاتحـة ـ ركن في حق كل مصلٍ لا يستـثني أحدٌ إلا المسبوق، إذا وجد الإمام راكعًا أو أدرك من قيام الإمام ما لم يتمكن معه من قراءة الفاتحة ...» ثم قال: «قراءة الفاتحة ركن في حق كل مصلٍ الإمام والمأموم، والمنفرد».

وكان دليله ـ رحمـه الله حديث «لا صلاة لمن لم يقرأ بفـاتحة الكتاب» فهذا هو الأصل في النـفي أن يكون نفيًا للوجود، فإن لم يكن فهـو نفي للصحة، ونفي الصحة نفى للوجود الشرعـي، فإن لم يكن ملتقى الكمال، فهذه راتب النفي.. ثم الحديث عام يستثن منه شـيء، والأصل في النصوص العامة أن تبقى فلا تخصص إلاّ بدليل شرعي، إمّـا بنص أو إجمـاع أو قياس صـحيح (وهذا مفـقود هنا)، واسـتدل ـ رحمـه الله ـ بحديث البخاري (٧٨٣) في الأذان عن أبي بكر في صلاته وراء النبي ﷺ وهو راكع فلم يأمره عليه السلام بإعادة الفاتحة مما أجاز القول بأنها سـاقطة عن المسبوق (الجامع لأحكام فقه السنة) مختـصرًا، ط دار الغد الجديد (ص ٣٦٢، ٣٦٣).

(٤) صحيح: أبو داود (٨٢٠) في الصلاة، وصححه الألباني هناك (ص ١٣١) ط ـ مكتبة المعارف ـ الرياض.

ابن مُسْهر جـميعاً عن أبي سفيان السّـعدي عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخُـدْرِيّ قال قال رسول الله ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقرأ في كل ركـعة بالحمد لله وسورة في فريضـة أو غيرها»(١). وفي صحيح مسلم عن أبـي هريرة أنه عليه السلام قـال للذي علمه الصـلاة: «وافعل ذلك في صـلاتك كلها»(٢) وسيأتي. ومن الحـجة في ذلك أيضاً ما رواه أبو داود عن نافع بن محمـود بن الربيع الأنصاري قال: أبطأ عُبادة بن الصامت عن صلاة الصبح؛ فأقام أبو نعيم المؤذن الصلاة فصلّى أبو نعيم بالناس، وأقبل عُبادة بن الصامت وأنا معه حتى صففنا خلف أبي نعـيم، وأبو نعيم يجهر بالقراءة؛ فجعل عُبادة يقرأ بأم القرآن؛ فلما انصرف قلت لعـبادة: سمعتك تقرأ بأمّ القرآن وأبو نعـيم يجهر؟ قال: أجل صلّى بنا رسول الله ﷺ بعض الصلوات التي يُجهر فيها بالقراءة فالتبست عليه؛ فلما انصرف أقبل علينا بوجهه فقال: «هل تقرؤون إذا جـهرتُ بالقراءة»؟ فقال بعضنا: إنَّا نصنع ذلك؛ قـال: «فلا. وأنا أقول مالي يُنازعني القرآن فلا تقرؤوا بشيء من القرآن إذا جَـهرتُ إلا بأمّ القرآن». وهذا نص صريح في المأموم. وأخرجه أبو عيسى الترمذي: من حديث مـحمد بن إسحق بمعناه؛ وقال: حديث حسن(٣). والعمل على هذا الحديث في القراءة خلف الإمام عند أكثـر أهل العلم من أصحاب النبيّ ﷺ والتابعين؛ وهو قول مالك بن أنس وابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق، يرون القراءة خلف الإمام. وأخرجه أيضاً الدَّارقُطْنيّ وقـال: هذا إسناد حسن، ورجـاله كلهم ثقات؛ وذكـر أن محـمود بن الربيع كـان يسكن إيلياء، وأن أبا نعيم أوّل من أذّن في بيت المَقْـدِس. وقال أبو محمد عبد الحق: ونـافع بن محمود لم يذكره البخاريّ في تاريخه ولا ابن أبي حاتم؛ ولا أخرج له البخاري ومسلم شيئاً. وقال فيه أبو عمر: مجهول. وذكر الدارقطنيّ عن يزيد بن شريك قال: سـألت عمر عن القراءة خلف الإمام، فأمرني أن أقـرأ، قلت: وإن كنت أنت؟ قـال: وإن كنت أنا؛ قلت: وإن جـهرت؟ قـال: وإن جـهرتُ. قال الدارقطنيّ: هذا إسناد صحيح(٤). ورُوي عن جابر بن عـبد اللَّه قال: قال رسـول الله ﷺ: «الإمام ضامن فما صنع فاصنعوا»(٥). قال أبو حاتم: هذا يصح لمن قال بالقـراءة خلف الإمام ؛ وبهذا أفتى

---

(١) ضعيف بهذا السياق : ضعفه الألباني (٨٣٩) وفي سنن ابن ماجه، ط الريان (ص ١٥٦) .
وإن كان أصل الحديث في مسلم وأبي داود كما في صحيح سننه (٧٧٧) للألباني رحمه الله .

(٢) متفق عليه : البخاري (٧٥٧) في الأذان ، ومسلم (٣٩٧/ ٤٥، ٤٦) في الصلاة،عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) حسن : أبو داود (٨٢٤) في الصلاة ، والترمذي (٣٠٢) في الصلاة ، وضعفه الألباني هناك .
قلت : وقد سبق تصحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) صحيح : الدارقطني (١/ ٣١٧) في سننه ، والبيهقي (٢/ ١٦٧) في سننه الكبرى .
وانظر جزء القراءة خلف الإمام (١/ ٩١) للبيهقي، ط العلمية .

(٥) ضعيف بتمامه إلا قوله :« الإمام ضامن » : الهيثمي (٢/ ٦٦) في المجمع وعزاه للطبراني في الأوسط ، وقال : «وفيه موسى بن شيبة من ولد كعب بن مالك ،ضعـفه أحمد ، ووقفه أبو حاتم » . . . ثم قال : «وقد تقدمت أحاديث في قوله : « الإمام ضامن والمؤمن مؤتمن » .
قلت : « والإمـام ضامن والمؤذن مـؤتمن » عند أبي داود (٧١٥) في الصـلاة عن أبي هريرة ، وانظر: صحـيح الجامع (٢٧٨٧) .

أبو هريرة الفارسي أن يقرأ بهـا في نفسه حين قال له: إني أحياناً أكون وراء الإمـام، ثم استدل بقوله تعالى: «قسمت الصلاة بيني وبين عـبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبـدي ولعبدي ما سأل». قال رسول الله ﷺ: «اقرؤوا يقول العبد الحمد لله رب العالمين» الحديث[١].

العاشرة: أمّا ما استدل به الأوّلون بقوله عليـه السلام: «وإذا قرأ فأنصتوا»[٢] أخرجه مسلم من حديث أبي موسى الأشعريّ؛ وقال: وفي حديث جـرير عن سليمان عن قتادة من الزيادة: «وإذا قرأ فأنصتوا» قال الدارقطني[٣]: هذه اللفظة لم يتابع سليمـان التيمي فيها عن قتادة؛ وخـالفه الحفاظ من أصحـاب قتادة فلم يذكروها؛ منهم شـعبة وهشـام وسعيد بن أبي عَـرُوبة وهمام وأبو عوانة ومعـمر وعَدِيّ بن أبي عمارة. قال الدّارَقُطْنِيّ: فإجماعـهم يدل على وَهَمِه. وقد روي عن عبد اللَّه بن عامر عن قتادة متابعة التيـمي؛ ولكن ليس هو بالقويّ، تركه القَطّان. وأخرج أيضاً هذه الزيادة أبو داود من حديث أبي هريرة وقال: هذه الزيادة «إذا قرأ فأنصتوا» ليست بمحـفوظة. وذكر أبو محمد عبد الحق: أن مسلماً صَحّح حديثَ أبي هريرة وقال: هو عندي صحيح.

قلت: ومما يدل على صحـتها عنده إدخـالها في كتـابه من حديث أبي مـوسى وإن كانت مما لم يجمعوا عليهـا. وقد صححها الإمام أحمـد بن حنبل وابن المنذر. وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، فإنه نزل بمكة، وتحريم الكلام في الصـلاة نزل بالمدينة كما قال زيد بن أرقم فلا حجة فيها[٤]؛ فإن المقصود كان المشركين، على ما قال سعيد بن المسيّب. وقد روى الدارقُطنيّ عن أبي هريرة. أنها نزلت في رفع الصوت خلف رسـول الله ﷺ في الصلاة. وقال: عبد اللَّه بن عامر ضعيف. وأما قوله عليه السلام: «مالي أنازع القرآن»[٥] فأخرجه مالك عن ابن شهاب عن ابن أُكَيمة اللّيـثي، واسمه فيما قال مـالك: عمرو، وغيره يقول: عـامر، وقيل: يزيد، وقيل: عمارة، يكنى أبـا الوليد تُوُفّيَ سنة إحدى ومائة وهو ابن تسع وسـبعين سنة، لم يَرْوِ عنه الزهري إلا هذا الحديث الواحد، وهو ثقة، وروى عنه محمد بن عـمرو وغيره. والمعنى في حديثه: لا تجهروا إذا جهرت فـإن ذلك تنازع وتجاذب وتخالج[٦]، اقرؤوا في أنفسكم. يُبَـيِّنه حديثُ عبادة وفُتْـيَا الفاروق وأبي هريرة الراوي للحديثين. فـلو فهم المنع جملة من قولـه: «مالي أنازع القرآن» لما أفتى بخـلافه؛ وقول الزهري في حديث ابن أُكَيمة: فانتهى الناس عن القراءة مع رسول الله ﷺ فيما جَهَر فيه رسول الله ﷺ بالقراءة، حين سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ، يريد بالحمد على ما بينا؛ وبالله توفيقنا.

(١، ٢) صحيحان: وقد سبقا.

(٣) انظر: علل الجارودي (١/ ٧٧).

(٤) سيأتي عند قوله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

(٥) صحيح: وقد سبق من حديث أبي هريرة.

(٦) صحيح: هي لفظة مسلم للحديث (٣٩٨) في الصلاة، عن عمران بن الحصين رضي الله عنهما.
قال النـووي: «خالجنهـا، أي: نازعنها، ومـعنى هذا الكلام الإنكار عليـه» شرح النووي على مـسلم (٢/ ٣٢٤)، وانظر: الجامع لأحكام فقه السُّنة (١/ ٣٦٣) لابن عثيمين ـ رحمه الله ـ ط دار الغد الجديد.

وأما قوله ﷺ: «مـن كان له إمام فقراءة الإمـام له قراءة»[١] فحديث ضـعيف أسنده الحسن بن عمارة وهو متروك، وأبو حنيفة وهو ضعيف؛ كلاهما عن موسى بن أبي عائشة عن عبد اللَّه بن شدّاد عن جابر. أخرجه الدارقطنيّ وقال: رواه سفيان الثوري وشعبة وإسرائيل بن يونس وشريك وأبو خالد الدالاني وأبو الأحوص وسفيان بن عُـيينة وجَرير بن عبد الحميد وغيـرهم، عن موسى بن أبي عائشة عن عبد اللَّه بن شدّاد مـرسلاً عن النبيّ ﷺ وهو الصواب. وأما قول جابر: من صـلى ركعة لم يقرأ فيها بأمّ القـرآن فلم يصل إلا وراء الإمام؛ فرواه مالك عن وهب بن كَيسـان عن جابر قولَه. قال ابن عبد البر: ورواه يحيى بن سـلام صاحب التفسير عن مالك عن أبي نعيم وهـب بن كيسان عن جابر عن النبي ﷺ. وصوابه موقوف على جابر كما في «المُوَطّأ». وفيه من الفقه إبطالُ الركعة التي لا يُقرأ فيها بأم القرآن؛ وهـو يشهد لصحة ما ذهب إليه ابن القاسم ورواه عن مـالك في إلغاء الركعة والبناء على غيرها ولا يعتدّ المصلي بركـعة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب. وفيـه أيضاً أن الإمام قراءته لمن خلفه قراءة؛ وهذا مذهب جابر وقد خالفه فيه غيره.

الحادية عشرة: قال ابن العـربي: لما قال ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقـرأ بفاتحة الكتـاب» واختلف الناس في هذا الأصل: هل يُحمل هذا النفي على التمام والكمال، أو على الإجزاء؟ اختلفت الفَتْوَى بحسب اختلاف حال الناظر، ولما كان الأشـهر في هذا الأصل والأقوى: أن النفي على العموم، كان الأقوى من رواية مالك أن من لم يقرأ الفاتحـة في صلاته بطلت. ثم نظرنا في تكرارها في كل ركعة؛ فمن تأوّل قـول النبيّ ﷺ: «افعل ذلك في صـلاتك كلها» لزمه أن يعـيد القراءة كـما يعيـد الركوع والسجود. والله أعلم.

الثانية عشرة: ما ذكرناه في هذا الباب من الأحاديث والمعاني في تعيين الفاتحة يرد على الكوفيين قولهم في أن الفـاتحة لا تتعيّن، وأنهـا وغيرها من آي القرآن سواء. وقـد عيّنها النبيّ ﷺ بقـوله كما ذكرناه؛ وهو المبّين عن الله تعـالى مراده في قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [المزمل: ٢٠]. وقد روى أبو داود عن أبي سعيـد الخُدْرِي قال: أُمِرْنا أن نقرأ بفاتحـة الكتاب وما تيسّر. فـدلّ هذا الحديث على أن قوله عليه السـلام للأعرابي: «اقرأ مـا تيسّر مـعك من القرآن»[٢] ما زاد على الفـاتحة، وهو تفسيـر قوله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠]. وقد روى مسلم عن عُبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «لا صـلاة لمن لم يقرأ بـأم القرآن»[٣]. زاد في رواية «فـصاعداً». وقـوله عليه الـسلام: «هي خِداج ثلاثاً غـير تمام» أي غير مـجزئة بالأدلة المذكورة. والخِـداج: النقص والفساد. قـال الأخفش: خِدجت الناقة: إذا ألقـت ولدها لغير تمام، وأخدجت: إذا قذفت به قـبل وقت الولادة وإن كان تام الخلق.

والنظر يوجب في النقصـان ألا تجوز معه الـصلاة؛ لأنها صلاة لم تتم؛ ومن خـرج من صلاته وهي لم تتم فعليـه إعادتها كمـا أمر، على حسب حكمهـا. ومن ادعى أنها تجوز مع إقراره بنقـصها فعليه الدليل، ولا سبيل إليه من وجه يُلزم، والله أعلم.

---

(١) ضعيف جدًا: وقد سبق.

(٢) متفق عليه: وهو حديث المسيء صلاته، وقد سبق.

(٣) صحيح: وقد سبق.

الثالثة عشرة: روي عن مالك أن القراءة لا تجب في شيء من الصلاة، وكذلك كان الشافعي يقول بالعراق فيمن نسيها، ثم رجع عن هذا بمصر فقال: لا تجزىء صلاة من يحسن فاتحة الكتاب إلا بها، ولا يجزئه أن ينقص حرفاً منها؛ فإن لم يقرأها أو نقص منها حرفاً أعاد صلاته وإن قرأ بغيرها. وهذا هو الصحيح في المسألة. وأما ما روي عن عمر رحمه الله أنه صلى المغرب فلم يقرأ فيها، فذُكر ذلك له فقال: كيف كان الركوع والسجود؟ قالوا: حسن، قال: لا بأس إذاً، فحديث منكر اللفظ منقطع الإسناد، لأنه يرويه إبراهيم بن الحارث التيمي عن عمر، ومَرّة يرويه إبراهيم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عمر، وكلاهما منقطع لا حجة فيه؛ وقد ذكره مالك في الموطأ، وهو عند بعض الرواة وليس عند يحيى وطائفة معه؛ لأنه رماه مالك من كتابه بأَخَرة، وقال: ليس عليه العمل؛ لأن النبيّ ﷺ قال: «كل صلاة لا يُقرأ فيها بأم القرآن فهي خِداج»[1] وقد روي عن عمر أنه أعاد تلك الصلاة» وهو الصحيح عنه. وروى يحيى بن يحيى النيسابوري قال: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم النخعيّ عن همام بن الحارث أن عمر نسي القراءة في المغرب فأعاد بهم الصلاة. قال ابن عبد البر: وهذا حديث متصل شهده همّام من عمر؛ روى ذلك من وجوه. وروى أشهب عن مالك قال: سئل مالك عن الذي نسي القراءة، أيعجبك ما قال عمر؟ فقال: أنا أنكر أن يكون عمر فعله وأنكر الحديث وقال: يرى الناس عمر يصنع هذا في المغرب ولا يسبحون به أرى أن يعيد الصلاة من فعل هذا[2].

الرابعة عشرة: أجمع العلماء على أن لا صلاة إلا بقراءة، على ما تقدّم من أصولهم في ذلك. وأجمعوا على أن لا توقيت في ذلك بعد فاتحة الكتاب؛ إلا أنهم يستحبون ألا يقرأ مع فاتحة الكتاب إلا سورة واحدة ؛ لأنه الأكثر مما جاء عن النبيّ ﷺ. قال مالك: وسنة القراءة أن يقرأ في الركعتين الأولَيَيْن بأم القرآن وسورة، وفي الأخريين بفاتحة الكتاب. وقال الأوزاعيّ: يقرأ بأم القرآن فإن لم يقرأ بأم القرآن وقرأ بغيرها أجزأه، وقال: وإن نسي أن يقرأ في ثلاث ركعات أعاد. وقال الثَّوْرِيّ: يقرأ في الركعتين الأوليين بفاتحة الكتاب وسورة، ويسبح في الأخريين إن شاء، وإن شاء قرأ، وإن لم يقرأ ولم يسبح جازت صلاته، وهو قول أبي حنيفة وسائر الكوفيين. قال ابن المنذر: وقد رُوينا عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: اقرأ في الأولَيَيْن وسبح في الأخريين، وبه قال النَّخعيّ. قال سفيان: فإن لم يقرأ في ثلاث ركعات أعاد الصلاة لأنه لا تجزئه قراءة ركعة. قال: وكذلك إن نسي أن يقرأ في ركعة من صلاة الفجر. وقال أبو ثَور: لا تجزىء صلاة إلا بقراءة فاتحة الكتاب في كل ركعة، كقول الشافعي المصري، وعليه جماعة أصحاب الشافعي[3]. وكذلك قال ابن خُوَيْزِ مَنْدَاد المالكي؛ قال: قراءة الفاتحة واجبة عندنا في كل ركعة، وهذا هو الصحيح في المسألة. روى مسلم عن أبي قتادة قال: كان رسول الله ﷺ يصلي بنا فيقرأ في الظهر والعصر في الركعتين الأوليين بفاتحة الكتاب وسورتين، ويسمعنا الآية أحياناً، وكان يطوّل في الركعة الأولى من الظهر ويقصر الثانية، وكذلك في الصبح[4]؛ وفي رواية: ويقرأ في الركعتين الأخريين بفاتحة الكتاب؛ وهذا نص صريح وحديث

(١) صحيح : وقد سبق .

(٢) قاله ابن عبد البر (٢٠/ ١٩٤) في التمهيد .

(٣) المغنى (١/ ٢٨٨) لابن قدامة .

(٤) متفق عليه : البخاري (٧٥٩) في الأذان ، ومسلم (٤٥١/ ١٥٤، ١٥٥) في الصلاة .

صحيح لما ذهب إليه مـالك. ونصٌ في تعين الفاتحة في كل ركعة، خلافـاً لمن أبى ذلك، والحُجّة في السُّنة لا فيما خالفها.

الخامسة عشرة: ذهب الجمهور إلى أن ما زاد على الفاتحة من القراءة ليس بواجب؛ لما رواه مسلم عن أبي هريرة قال: في كل صـلاة قراءة؛ فمـا أسمعنا النبيّ ﷺ أسمـعناكم، وما أخفى منّا أخـفينا منكم؛ فمن قـرأ بأمّ القرآن فـقد أجزأت عنه، ومن زاد فـهو أفضـل. وفي البخاري «وإن زدت فـهو خير»(١)؛ وقد أبى كثير من أهل العلم ترك السورة لضـرورة أو لغير ضرورة، منهم عمران بن حصين وأبو سعيـد الخُدْري وخَوّات بن جبير ومـجاهد وأبو وائل وابن عمر وابن عباس وغـيرهم؛ قالوا: لا صلاة لمن لم يقرأ فـيها بفاتحة الكتـاب وشيء معها من القرآن؛ فمنـهم من حدّ آيتين، ومنهم من حدّ آية، ومنهم من لم يَحُدّ، وقـال: شيء من القرآن معهـا، وكل هذا موجب لتعلّم ما تيسّر من القرآن على كل حال مع فـاتحة الكتاب؛ لحديث عُـبادة وأبي سعـيد الخدري وغيـرهما. وفي «المُدَوّنة»(٢): [روى] وكيع عن الأعمش عن خَيْـثمة قال: حدّثني من سمع عمـر بن الخطاب يقول: لا تجزئ صلاة من لم يقرأ فـيها بفاتحـة الكتاب وشيء معهـا. واختلف المذهب في قراءة السـورة على ثلاثة أقوال: سنة، فضيلة، واجبة.

السادسة عشرة: من تعذّر ذلك عليه بعد بلوغ مجـهوده فلم يقدر على تعلم الفاتحة أو شيء من القرآن ولا عَلِق منه بشيء، لزمه أن يذكر الله في موضع القراءة بما أمكنه من تكبير أو تهليل أو تحميد أو تسبيح أو تَمجيد أو لا حول ولا قوّة إلا بالله، إذا صلّى وحده أو مع إمام فيما أَسَرّ فيه الإمام؛ فقد روى أبو داود وغيره عن عـبد اللّه بن أبي أَوْفَى قال: جاء رجل إلى النبيّ ﷺ فـقال: إني لا أستطيع أن آخذ من القرآن شيئاً، فعلمني ما يجـزئني منه؛ قال: «قل: سبحان الله ،والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبـر، ولا حولَ ولا قوة إلا بالله»؛ قـال: يا رسول الله، هذا لله، فمـالي؟ قال: «قل اللَّهُمّ ارحمني وعافني واهدني وارزقني»(٣).

السابعـة عشرة: فإن عـجز عن إصابة شيء من هذا اللفظ فـلا يدع الصلاة مع الإمام جـهده؛ فالإمام يحمل ذلك عنه إن شـاء الله؛ وعليه أبداً أن يجهد نفسه في تعلم فاتحـة الكتاب فما زاد، إلى أن يحول الموت دون ذلك وهو بحال الاجتهاد فيعذره الله.

الثامنة عـشرة: من لم يواته لسانُه إلى التـكلم بالعربية من الأعجـميين وغيـرهم تُرجم له الدعاء العربي بلسانه الذي يفقه لإقامة صلاته؛ فإن ذلك يجزئه إن شاء الله تعالى.

التاسعة عشرة: لا تجزئ صلاة من قرأ بالفارسية وهو يحسن العربية في قول الجمهور. وقال أبو حنيفـة: تجزئه القراءة بالفارسـية وإن أحسن العربـية؛ لأن المقصود إصـابة المعنى. قال ابن المنذر: لا يجزئه ذلك؛ لأنه خلاف ما أمر الله به، وخلاف ما علم النبيّ ﷺ، وخلاف جماعات المسلمين. ولا نعلم أحداً وافقه على ما قال.

الموفية عشرين: من افتتح الصلاة كما أمر وهو غـير عالم بالقراءة، فطرأ عليه العلم بها في أثناء

---

(١) متفق عليه : وقد سبق .

(٢) انظر: المدونة الكبرى (١/ ٦٨) ،دار صادر بيروت ـ وفيه جهالة المحدث .

(٣) حسن : أبو داود (٨٣٢) في الصلاة ، وحسنه الألباني.

الصلاة، ويتصوّر ذلك بأن يكون سمع من قرأها فعَلِقت بحفظه من مجرّد السماع فلا يستأنف الصلاة؛ لأنه أدّى ما مضى على حسب ما أُمِر به؛ فلا وجه لإبطاله. قاله في كتاب ابن سحنون.

الباب الثالث: في التأمين

وفيه ثمان مسائل :

الأولى: ويسنّ لقارئ القرآن أن يقول بعد الفراغ من الفاتحة بعد سكتة على نون ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾: آمين؛ ليتميّز ما هو قرآن مما ليس بقرآن.

الثانية: ثبت في الأمّهات من حديث أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «إذا أمّن الإمام فأمّنوا فإنه مَن وافق تأمينه الملائكة غُفر له ما تقدّم من ذنبه»[1]. قال علماؤنا رحمة الله عليهم: فترتبت المغفرة للذنب على مقدّمات أربع تضمّنها هذا الحديث؛ الأولى: تأمين الإمام، الثانية: تأمين مَن خلفه، الثالثة: تأمين الملائكة، الرابعة: موافقة التأمين؛ قيل في الإجابة، وقيل في الزمن، وقيل في الصفة من إخلاص الدعاء، لقوله عليه السلام: «ادعوا الله وأنتم مُوقِنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلب غافل لاه»[2].

الثالثة: روى أبو داود عن أبي مُصبِّح المَقْرَائيّ قال: كنا نجلس إلى أبي زُهير النُّمَيري وكان من الصحابة، فيحدّث أحسن الحديث، فإذا دعا الرجل منا بدعاء قال: اختمه بآمين، فإن آمين مثل الطابع على الصحيفة. قال أبو زهير: ألا أخبركم عن ذلك: خرجنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، فأتينا على رجل قد ألحّ في المسألة، فوقف النبيّ ﷺ يسمع منه، فقال النبيّ ﷺ: «أوجب إن ختم» فقال له رجل من القوم: بأيّ شيء يختم؟ قال: «بآمين فإنه إن ختم بآمين فقد أوجب» فانصرف الرجل الذي سأل النبيّ ﷺ، فأتى الرجل فقال له: اختم يا فلان وأبشر[3]. قال ابن عبد البر: أبو زهير النميري اسمه يحيى بن نفير روى عن النبيّ ﷺ: «لا تقتلوا الجراد فإنه جند الله الأعظم»[4]. وقال وهب بن مُنَبِّه: آمين أربعة أحرف يخلق الله من كل حرف مَلَكاً يقول: اللَّهُمّ اغفر لكل من قال: آمين[5]. وفي الخبر: «لَقّنني جبريل آمين عند فراغي من فاتحة الكتاب وقال إنه كالخاتم على الكتاب» وفي حديث آخر: «آمين خاتم رب العالمين»[6]. قال الهَرَوِيُّ قال أبو بكر: معناه أنه طابع الله على

(١) متفق عليه : البخاري (٧٨٢) في الأذان ، ومسلم (٤١٠/ ٧٢) في الصلاة .

(٢) حسن : الترمذي (٣٤٧٩) في الدعوات ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وفيه صالح بن بشير وهو المزى : ضعيف الحديث ، لكن حسنه الألباني (٥٩٦) في الصحيحة .

(٣) ضعيف : أبو داود (٩٣٨) في الصلاة ، وضعفه الألباني هناك . وقال أبو داود ـ رحمه الله :المِقراء. المنسوب إليها المقرائي أحد رواة الحديث ـ قبيلٌ من حِمْيَر .

(٤) هذا الحديث جوده الألباني في الصحيحة (٢٤٢٨) من حيث إن محمد بن إسماعيل بن عياش رواه عن أبيه وورواية أبيه عن الشاميين صحيحة ، كما أن له متابعة من طريق سعيد بن عمرو الحضرمي وهو حمص ، فعدّ هذه متابعة قوية للحديث .

(٥) موضوع : انظره عند النووي (١/ ٦) في تفسيره من غير سند ، وكذا رواه الزمخشري (٥) في الكشاف بلا سند ونقلوه عنه فهو موضوع .

(٦) ضعيف : ضعفه الألباني (١٦) في ضعيف الجامع .

عبـاده؛ لأنه يدفع به عنهم الآفـات والبلايا؛ فكان كـخاتَم الكتاب الـذي يصونه، ويمنع من إفـساده وإظهار ما فيـه. وفي حديث آخر: «آمين درجة في الجنة»(١). قال أبو بكر: معناه أنه حرف يكتسب به قائله درجة في الجنة.

الرابعة: معنى آمين عند أكثـر أهل العلم: اللهُمّ استجب لنا؛ وضِع موضع الدعـاء. وقال قوم: هو اسم من أسماء الله؛ رُوي عن جعفر بن محـمد ومجاهد وهلال بن يِسَاف ورواه ابن عباس: عن النبيّ ﷺ ولم يصح؛ قاله ابن العربي(٢). وقيل معنى آمين: كـذلك فليكن؛ قاله الجوهري. وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: سـألت رسول الله ﷺ ما معنى آمين؟ قال: «رَبِّ افعل». وقال مُقاتل: هو قوّة للدعاء، واستنزال للبركة. وقال الترمذي: معناه لا تخَيِّبَ رجاءنا.

الخامسة: وفي آمين لغتان: المدّ على وزن فـاعيل كياسين. والقصر على وزن يمين. قـال الشاعر في المدّ:

يا ربّ لا تسلُبَنّي حبّها أبداً ويرحمُ الله عبداً قال آمينا

وقال آخر:

آمين آمين لا أرْضَى بواحدةٍ حتى أبلّغها ألفينِ آمينا

وقال آخر في القصر:

تباعد منّي فُطْحُلٌ إذ سألتُه أمينَ فزاد الله ما بيننا بُعدَا

وتشديد الميم خطأ؛ قـاله الجوهري. وقد روي عن الحسن وجـعفر الصادق التـشديد؛ وهو قول الحسين بن الفـضل؛ من أمّ إذا قصد، أي نحن قاصدون نحـوك؛ ومنه قوله: ﴿وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢]. حكاه أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم القُشَيْري. قال الجوهري: وهو مبنيٌّ على الفتح مثل أين وكيف؛ لاجتماع الساكنين. وتقول منه: أمَّن فلان تأميناً.

السادسة: اختلف العلماء: هل يقولها الإمام وهل يَجـهر بها؛ فذهب الشافعي ومالك في رواية المدنّيين إلى ذلك. وقـال الكوفيون وبعض المدنـيين: لا يجهر بهـا. وهو قول الطبـري؛ وبه قال ابن حبيب من علمائنـا. وقال ابن بكير: هو مخيّر. وروى ابن القاسـم عن مالك أن الإمام لا يقول آمين وإنما يقول ذلكَ من خلفه؛ وهو قول ابن القاسم والمصريين من أصـحاب مالك. وحجتهم حديث أبي موسى الأشعري: أن رسـول الله ﷺ خَطَبَنا فبيّن لنا سنّتنا وعلّمنا صلاتنا فقال: «إذا صليتـم فأقيموا صفوفكم ثم لِيَؤمكم أحدكم فـإذا كبّر فكبّروا وإذا قال: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فقولوا آمين يجـبكم الله» وذكر الحـديث، أخـرجه مـسلم(٣). ومـثله حديث سُـمَيٍّ عن أبي هريرة: وأخرجـه مالك(٤). والصحيح الأوّل لحـديث وائل بن حُجْر قال: كـان رسول الله ﷺ إذا قرأ ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾

(١) باطل مرفوع: انظر: تهذيب الأسماء (٣/ ١٢) للنووي، ولم يرفعه.

(٢) قال النووي ـ رحمه الله (٣/ ١٢) في تهذيب الأسماء عن كون آمين اسمًا من الأسماء الحسنى: «وهذا لا يصح؛ لأنه ليس في أسمـاء الله تعالى اسم مبنى ولا غير مـعرب مع أن أسمـاء الله تعالى لا تثبت إلا بقرآن أو سنة متواترة، وقد عدم الطريقان في آمين» انتهى.

(٣) صحيح: مسلم (٤٠٤) في الصلاة.

(٤) متفـق عليه: مالك (٤٥) في الموطأ ـ كتـاب الصلاة، وكذا رواه البخـاري (٧٨٢) في الأذان، ومسلم (٤١٠/ ٧٦) في الصلاة من طريق مالك.

قال: «آمين» يرفع بها صوته؛ أخرجه أبو داود والدّارقُطْني[١]، وزاد: قال أبو بكر: هذه سُنّة تفرّد بها أهل الكوفة، هذا صحيح والذي بعده. وترجم البخاري «باب جَهْر الإمام بالتأمين».

وقال عطاء: «آمين» دعاء، أمّن ابنُ الزبير ومَن وراءه حتى إن للمسجد لَلَجّةً[٢]. قال الترمذي: وبه يقول غير واحدٍ من أهل العلم من أصحاب النبيّ ﷺ ومن بعدهم، يَرون أن يرفع الرجل صوته بالتأمين لا يخفيها. وبه يقول الشافعي وأحمد وإسحاق. وفي «المُوَطّأ والصحيحين» قال ابن شهاب: وكان رسول الله ﷺ يقول «آمين»[٣]. وفي سنن ابن ماجه عن أبي هريرة: قال: ترك الناس آمين؛ وكان رسول الله ﷺ إذا قال: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قال: «آمين» حتى يسمعها أهل الصف الأوّل فيرتجُّ بها المسجد[٤]. وأما حديث أبي موسى وسُمَيّ[٥] فمعناهما التعريف بالموضع الذي يقال فيه: آمين؛ وهو إذا قال الإمام: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ليكون قولهما معاً، ولا يتقدّموه بقول: آمين؛ لما ذكرناه، والله أعلم. ولقوله عليه السلام: «إذا أمّن الإمام فأمّنوا». وقال ابن نافع في كتاب ابن الحارث: لا يقولها المأموم إلا أن يسمع الإمامَ يقول: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾. وإذا كان بِبُعْد لا يسمعه فلا يقل. وقال ابن عبدوس[٦]: يتحرّى قدر القراءة ويقول: آمين.

السابعة: قال أصحاب أبي حنيفة: الإخفاء بآمين أولى من الجهر بها؛ لأنه دعاء، وقد قال الله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الاعراف: ٥٥]. قالوا: والدليل عليه ما رُوي تأويل قوله تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ [يونس: ٨٩]. قال: كان موسى يدعو وهارون يؤمّن؛ فسماهما الله داعِيَيْن.

الجواب: أن إخفاء الدعاء إنما كان أفضل لما يدخله من الرياء. وأما ما يتعلق بصلاة الجماعة فشهودها إشهار شعارٍ ظاهر، وإظهارُ حق يُندب العباد إلى إظهاره؛ وقد ندب الإمام إلى إشهار قراءة الفاتحة المشتملة على الدعاء والتأمين في آخرها؛ فإذا كان الدعاء مما يسنّ الجهر فيه فالتأمين على الدعاء تابع له وجارٍ مجراه؛ وهذا بيّن.

الثامنة: كلمة آمين لم تكن قبلنا إلا لموسى وهارون عليهما السلام. ذكر الترمذي الحكيم في «نوادر الأصول»: حدّثنا عبد الوارث بن عبد الصمد قال: حدّثنا أبي قال: حدّثنا رزين مؤذن مسجد هشام بن حسان قال حدّثنا أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: «إن الله أعطى أمتي ثلاثاً لم تُعط أحداً قبلهم السلام وهو تحية أهل الجنة وصفوف الملائكة وآمين إلا ما كان من موسى وهارون»[٧] قال

---

(١) صحيح: أبو داود (٩٣٢) في الصلاة، وصححه الألباني هناك (ص ١٤٨، ١٤٩). ط الرياض.

(٢) لَجّةً: تردد في الكلام من اللجلجة كما في النهاية (١/ ٢٤٧) لابن الأثير، وهي: اختلاط الأصوات.

(٣) انظر: سنن الترمذي (٢/ ٢٧، ٢٨).

(٤) ذكره مالك بعد الحديث (٤٤مكرر) بترقيمي للموطأ ـ كتاب الصلاة باب (١١).

(٥) ضعيف: ضعفه الألباني (٨٥٣) في سنن ابن ماجه ـ كتاب إقامة الصلاة (٨، ٩).

(٦) هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبدوس، إمام عابد فقيه حافظ، زاهد، كان مجاب الدعوة، وظل ثلاثين سنة يصلي الفجر بوضوء العتمة (العشاء) وقد شرح المدونة وله تصانيف عدة.

(٧) ضعيف جداً: الترمذي الحكيم (٢/ ١٧٧) في نوادر الأصول، وعزاه الألباني في الضعيفة (١٥١٦) إلى ابن خزيمة وابن عدي وغيرهما عن أنس، وضعفه جداً معللاً ضعفه بـ «رزين» مولى آل مهلب فروايته عن أنس منكرة، فالحديث ضعيف جداً.

أبو عبد اللَّه: معناه أن موسى دعا على فرعون، وأمّن هارون، فقال الله تبارك اسمه عندما ذكر دعاء موسى في تنزيله: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ [يونس:٨٩] . ولم يذكر مقالة هارون؛ وقال موسى: ربنَا، فكان من هارون التأمين، فسماه داعياً في تنزيله، إذ صيّر ذلك منه دعوة. وقد قيل: إن آمين خاص لهذه الأمة؛ لما روي عن النبيّ ﷺ أنه قال: «ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين» أخرجه ابن ماجه من حديث حماد بن سلمة عن سُهيل بن أبي صالح عن أبيه عن عائشة أن النبيّ ﷺ قال...؛ الحديث[١]. وأخرج أيضاً من حديث ابن عباس عن النبيّ ﷺ قال: «ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على آمين فأكثروا من قول آمين»[٢]. قال علماؤنا رحمة الله عليهم: إنما حَسَدَنَا أهل الكتاب لأن أوّلها حمدٌ لله وثناءٌ عليه ثم خضوع له واستكانة، ثم دعاء لنا بالهداية إلى الصراط المستقيم، ثم الدعاء عليهم مع قولنا آمين.

الباب الرابع

فيما تضمّنته الفاتحة من المعاني والقراءات والإعراب وفضل الحامدين

وفيه ست وثلاثون مسألة:

الأولى: قوله سبحانه وتعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ روى أبو محمد عبد الغني بن سعيد الحافظ من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخُدْرِيّ عن النبيّ ﷺ قال: «إذا قال العبد الحمد لله قال صدق عبدي الحمد لي»[٣]. وروى مسلم عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها»[٤]. وقال الحسن: ما من نعمة إلا والحمد لله أفضل منها. وروى ابن ماجه عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: «ما أنعم الله على عبد نعمة فقال الحمد لله إلا كان الذي أعطاه أفضل مما أخذ»[٥]. وفي «نوادر الأصول» عن أنس ابن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن الدنيا كلها بحَذَافِيرِهَا بيد رجل من أمتي ثم قال: الحمد لله؛ لكانت الحمد لله أفضلَ من ذلك»[٦]. قال أبو عبد اللَّه: معناه عندنا أنه قد أُعطي الدنيا، ثم أُعطي على أثرها هذه الكلمة حتى نطق بها، فكانت هذه الكلمة أفضل من الدنيا كلها، لأن الدنيا فانية والكلمة باقية، هي من الباقيات الصالحات؛ قال الله تعالى: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف:٤٦] . وقيل في بعض الروايات: لكان ما أعطى أكثر مما أخذ، فصيّر الكلمة إعطاءً من العبد، والدنيا أخذاً من الله؛ فهذا في التدبير. كذلك يجري في الكلام أن هذه الكلمة من العبد، والدنيا من الله؛ وكلاهما من الله في الأصل، الدنيا منه والكلمة منه؛ أعطاه الدنيا فأغناه،

(١) صحيح : ابن ماجه (٨٥٦) في إقامة الصلاة والسنة فيها، وصححه الألباني هناك .
(٢) ضعيف جدًا : ابن ماجه (٨٥٧) في إقامة الصلاة والسنة فيها ، وضعفه الألباني هناك .
(٣) صحيح : سبق تخريجه .
(٤) صحيح : مسلم (٢٧٣٤) في الذكر والدعاء .
(٥) حسن : ابن ماجه (٣٨٠٥) في الأدب، وحسنه الألباني هناك، ط الريان .
(٦) موضوع : وفيه أبو المفضل كان يضع الأحاديث وقال الزهري : كان أبو الفضل رجلاً كذابًا ، كذا في الضعيفة (٨٧٥) للألباني ـ رحمه الله .

وأعطاه الكلمة فشرفه بها في الآخرة. وروى ابـن ماجه عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ حدّثهم: « أن عبداً من عبـاد الله قال يا رَب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجـهك وعظيم سلطانك فَعَضَلَتْ بالمَلَكَيْن فلم يدريا كيف يكتبانها فـصعدا إلى السماء وقالا يا ربَّنا إن عبدك قد قال مقـالة لا ندري كيف نكتبها قال الله عـزّ وجلّ وهو أعلم بما قال عبده مـاذا قال عبدي؟ قالا يـا ربّ لك الحمد كما ينـبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك فقال الله لهما اكتباها كما قال عبدي حتى يلقاني فأجْزِيَهُ بها»(١).

قال أهل اللغة: أعضل الأمر: اشتد واستغلق؛ والمعضّلات (بتشديد الضاد): الشدائد. وعضَّلت المرأة والشاة: إذا نَشِب ولدها فلم يسـهل مخرجه؛ بتـشديد الضاد أيضاً؛ فـعلى هذا يكون: أعْضَلت الملكين أو عَضَّلَت الملكين بـغير باء. والله أعلم. ورُوي عن مسـلم عن أبي مالك الأشعري قـال قال رسول الله ﷺ: «الطُّهور شَطْرُ الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض» وذكر الحديث(٢).

الثانية: اختلف العلماء : أيُّمـا أفضل؛ قول العبد: الحمـد لله رب العالمين، أو قول: لا إله إلا الله؟ فقالت طائفة: قوله : الحمد لله رب العـالمين أفضل؛ لأن في ضمنه التوحيد الذي هو لا إله إلا الله؛ ففي قـوله توحيد وحـمد؛ وفي قوله لا إله إلا الله توحـيد فقط. وقـال طائفة: لا إله إلا الله أفضل؛ لأنهـا تدفع الكفر والإشراك، وعـليها يقـاتل الخلق؛ قال رسول الله ﷺ: «أُمـرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»(٣). واختار هذا القول ابن عطية (٤) قال: والحاكم بذلك قول النبيّ ﷺ: «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له»(٥).

الثالثة: أجمع المسلمون على أن الله محمـود على سائر نعمه، وأن مما أنعم الله به الإيمان؛ فدلّ على أن الإيمان فعله وخلقه؛ والدليل على ذلك قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ . والعالَمون جملة المخلوقات، ومن جملتها الإيمان، لا كما قال القَدَرِيَّةُ(٦) : إنه خَلْقٌ لهم؛ على ما يأتي بيانه.

الرابعـة : الحـمد في كـلام العـرب معناه الثـناء الكامل؛ والألف واللام لاسـتغـراق الجنس من المحامد؛ فهو سبحانه يستحق الحمد بأجـمعه؛ إذ له الأسماء الحسنى والصفات العلا؛ وقد جُمع لفظ الحمد جمع القلة في قول الشاعر:

---

(١) ضعيف : ابن ماجه (٣٨٠١) في الدعاء ، وضعفه الألباني هناك ، وفي التعليق الرغيب (٢/ ٢٥٣) .

(٢) صحيح : مسلم (٢٢٣/ ١) في أول كتاب الطهارة .

(٣) متفق عليه : البخاري (٢٥) في الإيمان ، ومسلم (٢٢) في الإيمان ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، والبخاري (٣٩٢) في الصلاة ، عن أنس رضي الله عنه .

(٤) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٩٨) لابن عطية .

(٥) حسن : سبق تخريجه .

(٦) القدرية : هم منكرو القدر ، وأول من تكلم في هذا بالبصرة هو معبد بن خالد الجهني هلك (سنة ٨٠هـ) وأخذه عن يونس الأسواري ، وعنهما أخذ غيلان بن أبي غيلان ، ثم أخذ عنهم المعتزلة، فهم ـ يعني معبد وغيره ـ من القدرية الأوائل ، وسموا بالقدرية إلزامًا لهم بالإيمان به ، ونكـرانهم للإيمان بالقدر إنما هو بتقدير الله ، وينـسبون القدر للعبد ونفوه عن الله تعالى ، وهذا قول الغلاة منهم فاحذر . انظر: الملل والنحل (١/ ٣٨) للشهرستاني.

وأبلج محمودِ الثّناءِ خَصَصْتُه بأفْضَلِ أقوالي وأفْضَلِ أحْمُدي

فالحمد نقيض الذم، تقول: حمدت الرجل أحْمَدُه حَمْداً فهو حميد ومحمود؛ والتحميد أبلغ من الحمد. والحمد أعمّ من الشكر، والمحمَّد: الذي كثرت خصاله المحمودة. قال الشاعر:

إلى الماجد القَرْم الجَوَاد المُحَمَّد

وبذلك سُمّي رسول الله ﷺ. وقال الشاعر:

فَشَقّ له من اسمه ليُجِلَّه فذو العَرْش محمودٌ وهذا مُحَمَّدُ

والمَحْمَدة: خلاف المذمّة. وأحْمَدَ الرجلُ: صار أمره إلى الحمد. وأحمدته: وجدته محمودا؛ تقول: أتيت موضع كذا فأحمدته؛ أي صادفته محمودا موافقاً، وذلك إذا رضيت سكناه أو مرعاه. ورجل حُمَدَة مثل هُمَزَة يكثر حمد الأشياء ويقول فيها أكثر مما فيها. وحَمدة النار بالتحريك: صوت التهابها.

الخامسة: ذهب أبو جعفر الطبري وأبو العباس المبرد إلى أن الحمد والشكر بمعنى واحد سواء، وليس بمرضٍ. وحكاه أبو عبد الرحمن السلميّ في كتاب «الحقائق» له عن جعفر الصادق وابن عطاء. قال ابن عطاء: معناه الشكر لله؛ إذْ كان منه الامتنان على تعليمنا إياه حتى حمدناه. واستدل الطبري على أنهما بمعنىً بصحة قولك: الحمد لله شكراً. قال ابن عطية: وهو في الحقيقة دليل على خلاف ما ذهب إليه؛ لأن قولك شكراً، إنما خصصت به الحمد؛ لأنه على نعمة من النعم. وقال بعض العلماء: إن الشكر أعمّ من الحمد؛ لأنه اللسان وبالجوارح والقلب؛ والحمد إنما يكون باللسان خاصّة. وقيل: الحمد أعمّ، لأن فيه معنى الشكر ومعنى المدح، وهو أعمّ من الشكر؛ لأن الحمد يوضع موضع الشكر ولا يوضع الشكر موضع الحمد. ورُوي عن ابن عباس أنه قال: الحمد لله كلمةُ كل شاكر، وإن آدم عليه السلام قال حين عَطَس: الحمد لله(١).

وقال الله لنوح عليه السلام: ﴿فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون:٢٨]، وقال إبراهيم عليه السلام ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [إبراهيم:٣٩]، وقال في قصة داود وسليمان: ﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل:١٥]، وقال لنبيه ﷺ: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الإسراء:١١١]. وقال أهل الجنة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ [فاطر:٣٤]، ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس:١٠]، فهي كلمة كل شاكر.

قلت: الصحيح أن الحمد ثناء على الممدوح بصفاته من غير سبق إحسان، والشكر ثناء على المشكور بما أولى من الإحسان. وعلى هذا الحدّ قال علماؤنا: الحمد أعمّ من الشكر؛ لأن الحمد يقع على الثناء وعلى التحميد وعلى الشكر؛ والجزاء مخصوص إنما يكون مكافأة لمن أوْلاك معروفا؛ فصار الحمد أعم في الآية لأنه يزيد على الشكر. ويُذكر الحمد بمعنى الرضا؛ يقال: بلوته فحمدته، أي:

---

(١) صحيح: الترمذي (٣٣٦٨) في تفسير القرآن عن أبي هريرة، و(٣٠٧٦) في تفسير القرآن عنه أيضًا ضمن حديث طويل، وابن حبان (٦١٦٥) في صحيحه عن أنس رضي الله عنه، وصححه الألباني (٥٢١٦) في صحيح الجامع.

رضيتـه. ومنه قوله تعالى: ﴿مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩]. وقال عليه السلام: «أحـمد إليكم غسل الإحليل» أي: أرضاه لكم. ويذكر عن جعفر الصادق في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: من حمده بصفاته كما وصف نفسه فقـد حمد؛ لأن الحمد حاء وميم ودال؛ فالحـاء من الوحدانية، والميم من الملك، والدال من الدّيمومية؛ فمن عرفـه بالوحدانية والديمومية والملك فقد عرفه، وهذا هو حقـيقة الحمد لله. وقال شقيق بن إبراهيم في تفسير ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ قال: هو على ثلاثة أوجه: أولها: إذا أعطاك الله شيئاً تعرف من أعطاك. والثاني: أن تـرضى بما أعطاك. والثالث: ما دامت قـوته في جسدك ألا تعـصيه؛ فـهذه شرائط الحمد.

السادسة: أثنى الله سبحانه بالحمد على نفسه، وافـتتح كتابه بحمده، ولم يأذن في ذلك لغيره؛ بل نهاهم عن ذلك في كتابه وعلى لسان نبـيّه عليه السلام، فقال: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [النجم:٣٢]. وقال عليه السلام: «احثُوا في وجوه المدّاحين التراب»(١) رواه المقداد. وسيأتي القول فيه في «النساء» إن شاء الله تعالى.

فمعنى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، أي: سبق الحمد منّي لنفسي قبل أن يَحْمَدني أحد من العالمين، وحَمْـدي نفسي لنفـسي في الأزل لم يكن بعلة، وحَـمْدي الخلق مـشوب(٢) بالعلل. قـال علماؤنا: فيستقـبح من المخلوق الذي لم يعط الكمال أن يحمد نفسه ليستـجلب لها المنافع ويدفع عنها المضار. وقيل: لما علم سبحانه عجز عباده عن حمده، حَمِـد نفسه لنفسه في الأزل؛ فاستفراغ طَوْق عباده هو محل العجز عن حمده. ألا ترى سيد المـرسلين كيف أظهر العجز بقوله: «لا أُحصِي ثناء عليك»(٣). وأنشدوا:

إذا نَحْنُ أثْنَيْنَا عليك بصالحٍ ... فأنْتَ كما نُثْني وفوقَ الذي نُثْني

وقيل: حَمِد نفسه في الأزل لما علم من كثرة نعمه على عباده وعجزهم عن القيام بواجب حمده فَحمِد نفسه عنهم؛ لتكون النعمة أهنأ لديهم، حيث أسقط عنهم به ثقل المِنّة.

السابـعة: وأجمع القرّاء الـسبعة وجمـهور الناس على رفع الدال من ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾. ورُوي عن سفـيان بن عُيـينة ورؤبة بن العَجّـاج: «الحَمْدَ لله» بنصب الدال؛ وهذا عـلى إضمار فـعل. ويقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ بالرفع مبتدأ وخبر، وسبيل الخبر أن يفيـد» فما الفائدة في هذا؟ فالجواب أن سيبويه قال: إذا قال الرجل الحمـدُ لله بالرفع ففيه من المعنى مـثل ما في قولك: حمـدت الله حمداً؛ إلا أن الذي يرفع الحمد يخبر أن الحمد منه ومن جمـيع الخلق لله؛ والذي ينصب الحمد يخبر أن الحمد منه وحده لله. وقال غير سيبويه إنما يتكلم بهذا تعرّضاً لعفو الله ومغفرته وتعظيماً له وتمجيداً؛ فهو خلاف معنى الخبـر وفيه مـعنى السؤال. وفي الحـديث: «مَن شغل بذكـري عن مسألتي أعطيـته أفـضل ما أعطي السائلين»(٤). وقيل: إن مدحـه عزّ وجلّ لنفسه وثناءه عليـها ليعلّم ذلك عبـاده؛ فالمعنى على هذا:

(١) صحيح: مسلم (٣٠٠٢) في الزهد والرقائق، عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه.
(٢) مشوب: مخلوط مختار الصحاح (ص ٣٥٠).
(٣) صحيح: مسلم (٤٨٦) في الصلاة، عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) ضعيف: الترمذي (٢٩٢٦) في ثواب القرآن، وضعفه الألباني (١٣٣٥) في الضعيفة، و(٢١٣٦) في المشكاة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

قولوا : الحمد لله، قال الطبري: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ثناء أثنى به على نفسه، وفي ضمنه أمرَ عباده أن يثنوا عليه؛ فكأنه قال: قولوا :الحمـد لله، وعلى هذا يجيء قولوا: إياك. وهذا من حذف العرب ما يدل ظاهر الكلام عليه، كما قال الشاعر:

وأعـلَمُ أنّني سأكونُ رَمْساً   إذا سار النّواعجُ لا يسير
فقال السائلون لمن حفرتم   فقـال القائلون لهم وزير

المعنى: المحفور له وزير، فحـذف لدلالة ظاهر الكلام عليـه، وهذا كثيـر. وروي عن ابن أبي عَبْلَة: «الحمدُ لُله» بضم الدال واللام على إتباع الثـاني الأوّل؛ وليتجانس اللفظ، وطلبُ التجانس في اللفظ كثير في كلامهم؛ نحو: أجُوءُك، وهو منحدُرٌ من الجبل، بضم الدال والجيم. قال:

اضرب الساقينُ أُمّك هابل

بضم النون لأجل ضم الهمـزة. وفي قراءة لأهل مكة «مُرُدفين» بضم الراء إتباعـاً للميم، وعلى ذلكِ «مُقُتلين» بضم القاف. وقالوا: لإمِّك، فكسروا الهمزة اتباعاً للاّم؛ وأنشد للنعمان بن بشير:

ويل امِّها في هَواءِ الْجَو طالبةً   ولا كهذا الذي في الأرضِ مَطْلُوبُ

الأصل: ويلٌ لأمها؛ فحذفت اللام الأولى واستثـقل ضم الهمزة بعد الكسرة فنقلها للام ثم أتبع اللام الميمَ. وروي عن الحسن بن أبي الحسن وزيد بن عليّ: «الحمدِ لله» بكسر الدال على إتباع الأوّل الثاني.

الثامنة: قوله تـعالى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي : مالكهم، وكـل من ملك شيئـاً فهـو ربّه؛ فالربُّ: المالك. وفي الصحاح: والرب اسم من أسماء الله تعالى، ولا يقال في غيره إلا بالإضافة؛ وقد قالوه في الجاهلية للملِك، قال الحارث بن حلِّزة:

وَهُوَ الربّ والشَّهيدُ على يَوْ   مِ الْحِيَارَيْنِ والْبَلاَءُ بَلاءُ

والرب: السيد؛ ومنه قوله تعالى: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢]. وفي الحديث: «أنْ تلد الأَمَةُ ربَّتها»(١) أي :سيدتها؛ وقـد بيناه في كتاب «التذكرة» والربّ: المصلح والمدبّر والجـابر والقائم. قال الهَـرَوِيّ وغيـره: يقال لمن قـام بإصلاح شيء وإتمامـه: قد ربّه يَرُبّه فـهو رَبٌّ له وراب؛ ومنه سـمي الربّانيون لقيامهم بالكتب. وفي الحديث: «هل لك مِن نعمة تَرُبُّها عليه»(٢) أي: تقوم بها وتصلحها. والربّ: المعبود؛ ومنه قول الشاعر:

أرَبٌّ يبول الثُّعْلُبَانُ برأسه   لَقَدْ ذلّ مَنْ بالتْ عليه الثّعالبُ

ويقال على التكثير: ربّاه وربّبه وربّتَه؛ حكاه النحاس. وفي الصحاح: ورَبّ فلانٌ ولدَه يُرُبه ربّا، وربّبه وتَرَبّبه بمعنىً؛ أي ربّاه. والمَرْبوب: المربّى.

التـاسعـة : قـال بعض العلماء: إن هذا الاسم هو اسم الـله الأعظم؛ لكثرة دعـوة الداعين به، وتأمل ذلك في القـرآن، كما في آخـر «آل عمران؛ وسـورة «إبراهيم» وغيـرهما، ولما يشـعر به هذا الوصف من الصلة بين الربّ والمَرْبوب، مع ما يتضمّنه من العطف والرحمة والافتقار في كل حال.

(١) صحيح : قطعة من حديث مسلم (٨/ ١) في الإيمان، عن ابن عمر عن عمر رضي الله عنهما .
(٢) صحيح : قطعة من حديث مسلم (٢٥٦٧/ ٣٨) في البر والصلة والآداب ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

obeikandi.com

واختلف في اشتقاقه؛ فقيل: إنه مشتق من التربية؛ فالله سبحانه وتعالى مدبِّر لخلقه ومربيِّهم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم﴾ [النساء: ٢٣]. فسمى بنت الزوجة رَبِيبة لتربية الزوج لها.

فعلى أنه مدبر لخلقه ومربيهم يكون صفة فعل؛ وعلى أن الربّ بمعنى المالك والسيد يكون صفة ذات.

العاشرة: متى أدخلت الألف واللام على ﴿رَبِّ﴾ اختص الله تعالى به؛ لأنها للعهد، وإن حذفت منه صار مشتركاً بين الله وبين عباده. فيقال: الله رَبّ العباد، وزيد رَبّ الدّار؛ فالله سبحانه رَبّ الأرباب؛ يملك المالك والمملوك، وهو خالق ذلك ورازقه، وكل رَبٍّ سواه غير خالق ولا رازق، وكل مملوك فَمُملَّك بعد أن لم يكن، ومنتزع ذلك من يده، وإنما يملك شيئاً دون شيء؛ وصفة الله تعالى مخالفة لهذه المعاني، فهذا الفرق بين صفة الخالق والمخلوقين.

الحادية عشرة: قوله تعالى: ﴿ الْعَالَمِينَ﴾ اختلف أهل التأويل في ﴿الْعَالَمِينَ﴾ اختلافاً كثيراً؛ فقال قتادة: العالَمون جمع عالَم، وهو كل موجود سوى الله تعالى، ولا واحد له من لفظه مثل رهط وقوم. وقيل: أهل كل زمان عالم؛ قاله الحسين بن الفضل؛ لقوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٥]. أي: من الناس. وقال العَجّاج:

فَخِنْدِفٌ هامةُ هذا العالَمِ

وقال جرير بن الخَطَفَى:

تَنَصَّفُهُ البريّةُ وهوَ سامٍ ويُضحِي العالَمون له عيالا

وقال ابن عباس: العالَمون الجنّ والإنس[١]؛ دليله قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ ولم يكن نذيراً للبهائم. وقال الفرّاء وأبو عبيدة: العالَم عبارة عمن يعقل؛ وهم أربع أمم: الإنس والجنّ والملائكة والشياطين. ولا يقال للبهائم: عالَم؛ لأن هذا الجمع إنما هو جَمْع مَن يعقل خاصة.

قال الأعشى:

ما إنْ سمعتُ بمثلهم في العالَمينا

وقال زيد بن أسلم: هم المرتزقون؛ ونحوه قول أبي عمرو بن العلاء: هم الروحانيون. وهو معنى قول ابن عباس أيضاً: كل ذي رُوح دبّ على وجه الأرض[٢]. وقال وَهَب بن مُنَبِّه: إن لله عزّ وجلّ ثمانية عشر ألف عالَم؛ الدنيا عالَم منها[٣]. وقال أبو سعيد الخُدْري: إن لله أربعين ألف عالَم؛ الدنيا مِن شرقها إلى غربها عالَمٌ واحد[٤]. وقال مقاتل: العالَمون ثمانون ألف عالَم، أربعون ألف عالَم في البر، وأربعون ألف عالم في البحر[٥]. وروى الربيع بن أنس عن أبي العالية قال: الجنّ عالَم، والإنس عالَم؛ وسوى ذلك للأرض أربع زوايا في كل زاوية ألف وخمسمائة عالَم، خلقهم لعبادته[٦].

(١، ٢) حسن: الطبري (٢٠، ٢١) في تفسيره.

(٣، ٤، ٥) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٢٥) والخبر من الإسرائيليات.

(٦) ذكره الطبري (١/ ٢٧) في تفسيره وذكره ابن كثير (١/ ٣١) في تفسيره وقال: «وهذا كلام غريب يحتاج مثله إلى دليل صحيح».

قلت: والقول الأوّل أصحّ هذه الأقـوال؛ لأنه شامل لكل مخلوق وموجود؛ دليـله قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الشعراء: ٢٣، ٢٤]. ثم هو مأخوذ من العَلَم والعَلاَمَة؛ لأنه يدل على مُـوجده. كذا قال الزجاج قال: العالَم كل مـا خلقه الله في الدنيا والآخرة. وقـال الخليل: العَلَم والعَلاَمَة والمَعْلَم: مـا دَلّ على الشيء؛ فالعالَم دالٌّ على أن له خـالقاً ومدبراً، وهذا واضح. وقد ذُكـر أن رجلاً قال بين يدي الجُنَيد: الحـمد لله؛ فقال له: أتمها كـما قال الله، قل: رَبّ العـالمين؛ فقال الرجـل: ومَن العالَمين حتـى تذكر مع الحق؟ قال: قـل يا أخي؛ فإن المحدَث إذا قُرن مع القديم لا يبقى له أثر.

الثانيـة عشرة: يجوز الرفع والنصب في﴿رَبِّ﴾ فالنصب على المدح، والرفع على القطع؛ أي: هو رب العالمين.

الثـالثة عـشرة : قوله تـعالى: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وصف نفـسه تعالـى بعد ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ بأنه ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ لأنه لما كان في اتصـافه بـ ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ترهيب قرنه بـ ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ لما تضمن من الترغيب، ليـجمع في صفاته بين الرهبة منه والرغبة إليه، فـيكون أعون على طاعته وأمنع كما قال: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠] . وقال: ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ﴾ [غافر: ٣]. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم المؤمن ما عند اللـه من العقوبة ما طمع بجنته أحـد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمـة ما قنط من جنتـه أحد»(١). وقد تقـدم ما في هذين الاسمين من المعاني فـلا معنى لإعادته.

الرابعة عشرة : قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قرأ محمد بن السَّمَيْقع بنصب «مالك»، وفيه أربع لغات: مالك ومَلِك ومَلْك - مخففة من مَلِك - ومَليك. قال الشاعر:

وأيامٍ لنا غُرٍّ طِوال عصينا المَلْك فيها أن نَدينا

وقال آخر:

فاقنعْ بما قَسَم المليكُ فإنّما قَسَم الخلائقَ بيننا علاّمُها

الخلائق: الطبـائع التي جُبِل الإنسـان عليهـا. وروي عن نافع إشباع الكسـرة في «مَلِك» فيـقرأ «مَلِكِي» على لغة من يشبع الحركات، وهي لغة للعرب ذكرها المهدوي وغيره.

الخامسـة عشرة: اختلف العلمـاء أيّما أبلغ: ملك أو مالك؟ والقراءتان مَـرْوِيتَان عن النبيّ ﷺ وأبي بكر وعمر(٢). ذكرهما الترمـذي؛ فقيل: «مَلِك» أعمّ وأبلغ من ﴿مَالِكِ﴾ إذ كل مَلِك مالك، وليس كل مـالك مَلِكا؛ ولأن أمر الملك نافـذ على المالك في مِلْكه، حتـى لا يتصرف إلا عن تـدبير الملك؛ قاله أبو عبـيدة والمبرد. وقيل: ﴿مَالِكِ﴾ أبلغ؛ لأنه يكون مالكاً للناس وغـيرهم؛ فالمالك أبلغ تصرُّفاً وأعظم؛ إذ إليه إجراء قوانين الشرع، ثم عنده زيادة التّملك.

(١) صحيح : مسلم (٢٧٥٥) في التوبة .

(٢) قراءتان سبعيتان متواترتان : انظر : السبعة لابن مجاهد (ص ١٤٠).

وقال أبو عليّ: حكى أبو بكر بن السراج عن بعض من اختار القراءة بـ «ملك» أن الله سبحانه قد وصف نفسه بأنه مالك كلّ شيء بقوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فلا فائدة في قراءة من قرأ ﴿مَالِكِ﴾؛ لأنها تكرار. قال أبو عليّ: ولا حجة في هذا؛ لأن في التنزيل أشياء على هذه الصورة، تقدُّم العام ثم ذكر الخاص كقوله: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤] فالخالق يعمّ. وذكر المصوّر لما فيه من التنبيه على الصنعة ووجود الحكمة؛ وكما قال تعالى: ﴿وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤] بعد قوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]. والغيب يعم الآخرة وغيرها؛ ولكن ذكرها لعظمها، والتنبيه على وجوب اعتقادها، والردّ على الكفرة الجاحدين لها؛ وكما قال: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فذكر ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي هو عام وذكر ﴿الرَّحِيمِ﴾ بعده، لتخصيص المؤمنين به في قوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

وقال أبو حاتم: إن «مالكاً» أبلغ في مدح الخالق من «ملِك»، و «ملك» أبلغ في مدح المخلوقين من ﴿مَالِكِ﴾؛ والفرق بينهما أن المالك من المخلوقين قد يكون غير ملك وإذا كان الله مالكاً كان ملكاً، واختار هذا القول القاضي أبو بكر بن العربي وذكر ثلاثة أوجه؛ الأوّل: أنك تضيفه إلى الخاص والعام؛ فتقول: مالك الدار والأرض والثوب، كما تقول: مالك الملوك. الثاني: أنه يطلق على مالك القليل والكثير؛ وإذا تأمّلت هذين القولين وجدتهما واحداً. والثالث: أنك تقول: مالك المُلْك؛ ولا تقول: ملك المُلْك. قال ابن الحصار: إنما كان ذلك لأن المراد من ﴿مَالِكِ﴾ الدلالة على الملك بكسر الميم؛ وهو لا يتضمن «المُلْك» بضم الميم و «ملِك» يتضمن الأمرين جميعاً فهو أولى بالمبالغة. ويتضمن أيضاً الكمال، ولذلك استحق الملك على من دونه؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، ولهذا قال عليه السلام: «الإمامة في قريش»(١) وقريش أفضل قبائل العرب، والعرب أفضل من العَجَم وأشرف. ويتضمن الاقتدار والاختيار وذلك أمر ضروري في المَلِك، إن لم يكن قادراً مختاراً نافذاً حكمه وأمره، قهره عدوّه وغلبه غيره وازدرته رعيته؛ ويتضمن البطش والأمر والنهي والوعد والوعيد؛ ألا ترى إلى قول سليمان عليه السلام: ﴿مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [النمل: ٢٠، ٢١] إلى غير ذلك من الأمور العجيبة والمعاني الشريفة التي لا توجد في المالك.

قلت: وقد احتج بعضهم على أن مالكاً أبلغ لأن فيه زيادة حرف؛ فلقارئه عشر حسنات زيادة عمن قرأ ملك.

قلت: هذا نظر إلى الصيغة لا إلى المعنى، وقد ثبتت القراءة بـ«ملك»، وفيه من المعنى ما ليس في ﴿مَالِكِ﴾، على ما بينا والله أعلم.

السادسة عشرة: لا يجوز أن يتسمّى أحد بهذا الاسم ولا يدعى به إلا الله تعالى؛ روى البخاريّ ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء

---

(١) صحيح: صححه الألباني برقم (٢٧٥٧) في صحيح الجامع عن علي رضي الله عنه وعزاه للحاكم والبيهقي، وبرقم (٢٧٥٨) عن أنس وعزاه للنسائي وأحمد والضياء عن أنس رضي الله عنه، ولفظه: «الأئمة من قريش» وعند البخاري (٣٥٠١)، ومسلم (١٨٢٠) في الإمارة بلفظ: «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي في الناس اثنان» وهو عن ابن عمر رضي الله عنهما.

بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض»[١] وعنه أيضاً عن النبيّ ﷺ قال: «إن أخنَع اسم عند الله رجل تسمّى ملك الأملاك زاد مسلم: «لا مالك إلا الله عزّ وجلّ»[٢] قال سفيان: مثل: شاهانْ شَاهْ. وقال أحمد بن حنبل: سألت أبا عمرو الشيبانيّ عن اخنع؛ فقال: أوْضع؛. وعنه قال قال رسول الله ﷺ: «أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه رجل [كان] يسمى ملك الأملاك لا ملك إلا الله سبحانه»[٣]. قال ابن الحصار: وكذلك ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ و مالك الملك لا ينبغي أن يُختلف في أن هذا محرّم على جميع المخلوقين كتحريم ملك الأملاك سواء، وأما الوصف بمالك وملك:

السابعة عشرة: فيجوز أن يوصف بهما من اتصف بمفهومهما؛ قال الله العظيم: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ [البقرة: ٢٤٧]. وقال ﷺ: «ناس من أمتي عُرِضُوا عليَّ غُزاةً في سبيل الله يركبون ثَبَجَ هذا البحر ملوكا على الأسِرّة أو مثل الملوك على الأسرة»[٤].

الثامنة عشرة: إن قال قائل: كيف قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ويوم الدين لم يوجد بعدُ، فكيف وصف نفسه بملك ما لم يوجده؟ قيل له: اعلم أن مالكاً اسم فاعل من ملك يملك، واسم الفاعل في كلام العرب قد يضاف إلى ما بعده وهو بمعنى الفعل المستقبل ويكون ذلك عندهم كلاماً سديداً معقولا صحيحاً؛ كقولك: هذا ضارب زيد غدا؛ أي سيضرب زيداً. وكذلك: هذا حاجّ بيت الله في العام المقبل، تأويله سيحج في العام المقبل؛ أفلا ترى أن الفعل قد يُنسب إليه وهو لم يفعله بعدُ، وإنما أريد به الاستقبال؛ فكذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ على تأويل الاستقبال، أي: سيملك يوم الدِّين أو في يوم الدين إذا حضر.

ووجه ثان: أن يكون تأويل المالك راجعاً إلى القدرة؛ أي: إنه قادر في يوم الدين، أو على يوم الدين وإحداثه؛ لأن المالك للشيء هو المتصرف في الشيء والقادر عليه؛ والله عزّ وجلّ مالك الأشياء كلها ومصرفها على إرادته، لا يمتنع عليه منها شيء.

والوجه الأوّل أمَسُّ بالعربية وأنفذ في طريقها؛ قاله أبو القاسم الزجاجي.

ووجه ثالث: فيقال: لِمَ خصص يوم الدِّين وهو مالك يومْ الدين وغيره؟ قيل له: لأن في الدنيا كانوا منازعين في الملك، مثل فرعون ونمروذ وغيرهما، وفي ذلك اليوم لا ينازعه أحد في ملكه، وكلهم خضعوا له، كما قال تعالى: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾. فأجاب جميع الخلق ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر:١٦]. فلذلك قال: مالك يوم الدين؛ أي: في ذلك اليوم لا يكون مالك ولا قاضٍ ولا مُجازٍ غيره؛ سبحانه لا إله إلا هو.

التاسعة عشرة: إنْ وُصِف الله سبحانه بأنه مَلِكٌ كان ذلك من صفات ذاته، وإن وُصف بأنه

---

(١) متفق عليه : البخاري (٧٤١٢) في التوحيد ، ومسلم (٢٧٨٧/ ٢٣) في صفات المنافقين وأحكامهم، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه : البخاري (٦٢٠٦) في الأدب ، ومسلم (٢١٤٣/ ٢٠) في الآداب عن أبي هريرة رضي الله عنه .
صح : مسلم (٢١٤٣/ ٢١) في الآداب .

(٣) ق عليه : البخاري (٢٧٨٨ ، ٢٧٨٩) في الجهاد ، ومسلم (١٩١٢/ ١٦٠ ـ ١٦٢) في الإمارة عن أنس رضي
ه عنه .

مالك كان ذلك من صفات فعله.

الموفية عشرين: اليوم: عبارة عن وقت طلوع الفجر إلى وقت غروب الشمس، فاستعير فيما بين مبتدأ القيامة إلى وقت استقرار أهل الدارين فيهما. وقد يطلق اليوم على الساعة منه؛ قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]. وجَمْعُ يومٍ أيام؛ وأصله أيْوَام فأدغم؛ وربما عبّروا عن الشدة باليوم، يقال: يوم أيْوَم، كما يقال: ليلةٌ لَيْلاَء. قال الراجز:

نعْمَ أخو الهيجاء في اليوم اليَمِي

وهو مقلوب منه، أخر الواو وقدّم الميم ثم قلبت الواو ياء حيث صارت طَرَفا؛ كما قالوا: أدْلٍ في جمع دَلْوٍ.

الحادية والعشرون: الدِّين: الجزاء على الأعمال والحساب بها، كذلك قال ابن عباس وابن مسعود (١) وابن جريج (٢) وقتادة (٣) وغيرهم، ورُوِي عن النبي ﷺ، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ [النور: ٢٥]. أي حسابهم. وقال: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [غافر: ١٧]. و﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨]، وقال: ﴿أَئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات: ٥٣] أي: مجزيون محاسبون. وقال لبيد:

حصَادُك يوماً ما زرعتَ وإنما يُدَانُ الفتى يوماً كما هو دائن

آخر:

إذا ما رمونا رميناهمُ ودِنّاهُم مثل ما يُقرضونا

آخر:

واعلم يقينا أن مُلْكك زائلٌ واعلم بأن كما تَدين تُدانُ

وحكى أهل اللغة: دِنْته بفعله دَيْناً - بفتح الدال - ودِيناً - بكسرها - جزيته؛ ومنه الدّيّان في صفة الرب تعالى، أي: المجازي؛ وفي الحديث: «الكيِّس من دان نفسه»(٤) أي: حاسب. وقيل: القضاء. روي عن ابن عباس أيضاً؛ ومنه قول طَرَفة:

لَعَمْرُكَ ما كانت حمُولة مَعْبَد على جُدّها حَرْباً لدِينكَ من مُضَرْ

ومعاني هذه الثلاثة متقاربة. والدِّين أيضاً: الطاعة؛ ومنه قول عمرو بن كلثوم:

وأيامٍ لنا غُرٍّ طِوالٍ عَصينا المَلْكَ فيها أن ندِينا

فعلى هذا هو لفظ مشترك وهي:

الثانية والعشرون: قال ثعلب: دان الرجل: إذا أطاع، ودان: إذا عصى، ودان: إذا عَزّ، ودان:

---

(١) أثر رواه الطبري (١/ ١٣٠) بسنده عن مرة الهمذاني عن ابن مسعود والسّدّي وأبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وهو إسناد جيد.

(٢) صحيح: الطبري (١/ ١٣٠) في تفسيره.

(٣) صحيح إلى قتادة: الطبري (١/ ١٣٠) في تفسيره.

(٤) ضعيف: الترمذي (٢٤٥٩) في صفة القيامة، وابن ماجه (٤٢٦٠) في الزهد، كلاهما عن شداد بن أوس رضي الله عنه، وضعفه الألباني في الموضعين، ط الريان.

إذا ذلّ، ودان: إذا قهر؛ فهو من الأضداد. ويطلق الدِّين على العادة والشأن، كما قال:

كدِينك من أمّ الحُوَيْرِث قبلها

وقال المُثقِّب يذكر ناقته:

تقول إذا دَرَأتُ لها وضِيني أهذا دينُه أبداً ودِيني

والدِّين: سيرة الملك. قال زُهير:

لئن حللتَ بجوّفي بني أسد في دِين عمرو وحالت بيننا فَدَكُ

أراد في موضع طاعة عمرو. والدِّين: الدّاء؛ عن اللّحياني. وأنشد:

يا دِينَ قلبك من سَلْمَى وقد دِينَا

الثالثة والعشرون: قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ رجع من الغيبة إلى الخطاب على التلوين؛ لأنّ من أوّل السورة إلى ها هنا خبراً عن الله تعالى وثناءً عليه، كقوله: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١]. ثم قال: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾ [الإنسان: ٢٢]. وعكسه ﴿حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [يونس: ٢٢]. على ما يأتي. و ﴿نَعْبُدُ﴾ معناه نطيع؛ والعبادة الطاعة والتذلل. وطريق مُعبَّد إذا كان مذلّلا للسالكين؛ قاله الهَرَوِيّ. ونُطقُ المكلّف به إقرارٌ بالربوبية وتحقيقٌ لعبادة الله تعالى؛ إذ سائر الناس يعبدون سواه من أصنام وغير ذلك. ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي: نطلب العَوْن والتأييد والتوفيق.

قال السُّلَميّ في حقائقه: سمعت محمد بن عبد اللَّه بن شاذان يقول: سمعت أبا حفص الفرغاني يقول: من أقرّ ب ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فقد برئ من الجَبْر والقَدَر.

الرابعة والعشرون: إن قيل: لم قدّم المفعول على الفعل؟ قيل له: قدّم اهتماماً، وشأن العرب تقديم الأهم. يذكر أن أعرابياً سبّ آخر فأعرض المسبوبُ عنه؛ فقال له الساب: إياك أعْني: فقال له الآخر: وعنك أُعرض؛ فقدّما الأهم. وأيضاً لئلا يتقدّم ذكر العبد والعبادة على المعبود؛ فلا يجوز نعبدك ونستعينك، ولا نعبد إياك ونستعين إياك؛ فيقدّم الفعل على كناية المفعول، وإنما يتبع لفظ القرآن. وقال العَجّاج:

إيّاك أدْعُو فتقبّل مَلَقِي واغفِر خطاياي وكثّر ورقي

ويروى: ونَمِّر. وأمّا قول الشاعر:

إليكَ حتى بَلَغَتْ إيّاكا

فشاذٌّ لا يقاس عليه. والورِق بكسر الرّاء من الدراهم، وبفتحها المال. وكرر الاسم لئلا يتوهّم إياك نعبد ونستعين غيرك.

الخامسة والعشرون: الجمهور من القرّاء والعلماء على شدّ الياء من ﴿إِيَّاكَ﴾ في الموضعين. وقرأ عمرو بن فائد: «إيَاك» بكسر الهمزة وتخفيف الياء، وذلك أنه كره تضعيف الياء لثقلها وكون الكسرة قبلها. وهذه قراءة مرغوب عنها، فإن المعنى يصير: شمسَك نعبد أو ضوءك؛ وإيَاةُ الشمس بكسر الهمزة: ضوؤها؛ وقد تُفتح. وقال:

سَقَتْهُ إيَاةُ الشّمس إلا لثاته أُسِفَّ فلم تَكْدِم عليه بإثمد

فإن أسقطت الهاء مددت. ويقال: الإيَاة للشمس كالهالة للقمر، وهي الدّارة حولها. وقرأ

الفضل الرّقاشيّ: «أياك» بفتح الهمزة وهي لغة مشهورة. وقرأ أبو السَّوّار الغَنَوِي: «هياك» في الموضعين، وهي لغة[١]؛ قال:

فهيّاكَ والأمر الذي إن توسّعت موارده ضاقت عليك مصادره

السادسة والعشرون: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. عطف جملة على جملة. وقرأ يحيى بن وَثّاب والأعمش: «نستعين» بكسر النون[٢]، وهي لغة تميم وأسد وقيس وربيعة، ليدل على أنه من استعان، فكُسرت النون كما تُكسر ألف الوصل. وأصل ﴿نَسْتَعِينُ﴾ نَسْتَعْوِن، قلبت حركة الواو إلى العين فصارت ياء، والمصدر اسْتِعَانة، والأصل اسْتِعْوَان؛ قلبت حركة الواو إلى العين فانقلبت ألفا ولا يلتقي ساكنان فحذفت الألف الثانية لأنها زائدة، وقيل الأولى؛ لأن الثانية للمعنى، ولزمت الهاء عِوَضاً.

السابعة والعشرون: قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. اهدنا دعاء ورغبة من المربوب إلى الرب؛ والمعنى: دلنا على الصراط المستقيم وأرشدنا إليه، وأرنا طريق هدايتك الموصلة إلى أنسك وقُرْبك. قال بعض العلماء: فجعل الله جلّ وعزّ عظم الدعاء وجملته موضوعاً في هذه السورة، نصفها فيه مجمع الثناء، ونصفها فيه مجمع الحاجات، وجعل هذا الدعاء الذي في هذه السورة أفضل من الذي يدعو به الداعي لأن هذا الكلام قد تكلم به رب العالمين، فأنت تدعو بدعاء هو كلامه الذي تكلم به؛ وفي الحديث: «ليس شيء أكرم على الله من الدعاء»[٣]. وقيل المعنى: أرشدنا باستعمال السُّنن في أداء فرائضك؛ وقيل: الأصل فيه الإمالة؛ ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ [الأعراف:١٥٦] أي: ملْنا؛ وخرج عليه السلام في مرضه يتهادى بين اثنين، أي يتمايل. ومنه الهدية؛ لأنها تمال من ملك إلى ملك. ومنه الهَدْيُ للحيوان الذي يساق إلى الحَرَم؛ فالمعنى مِل بقلوبنا إلى الحق. وقال الفُضَيل بن عِيَاض: ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ طريق الحج، وهذا خاص والعموم أولى. قال محمد بن الحنفية في قوله عزّ وجل: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: هو دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره. وقال عاصم الأحْوَل عن أبي العالية: ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ رسول الله ﷺ وصاحباه من بعده. قال عاصم فقلت للحسن: إن أبا العالية يقول: «الصراط المستقيم» رسول الله ﷺ وصاحباه، قال: صدق ونصح[٤].

الثامنة والعشرون: أصل الصراط في كلام العرب الطريق؛ قال عامر بن الطُّفَيل:

شحنّا أرْضَهم بالخَيْل حتى تركناهم أذلّ مِن الصِّرَاط

وقال جَرير:

أمير المؤمنين على صِراط إذا اعْوَجَ الموارِدُ مُستقيم

وقال آخر:

---

(١) هي لغة طيئ ـ كما في هامش المطبوعة .

(٢) ذكرها ابن عطية (١/ ١١٥) في تفسيره ، وهي قراءة غير متواترة .

(٣) حسن : الترمذي (٣٣٧٠) في الدعوات ، وابن ماجه (٣٨٢٩) في الدعاء ، وحسنه الألباني في الموضعين عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) كذا عند الطبري (١/ ١٣٧) في تفسيره .

وحكى النقاش: الصراط الطريق بلغة الروم؛ قال ابن عطية: وهذا ضعيف جداً [١]. وقُرِىء: «السراط بالسين من الاستراط بمعنى الابتلاع؛ كأن الطريق يسترط مَن يسلكه. وقرئ بين الزاي والصاد. وقرئ بزاي خالصة والسين الأصل [٢]. وحكى سَلَمَة عن الفرّاء قال: الزراط بإخلاص الزاي لغة لعُذْرة وكَلْب وبني القَيْن، قال: وهؤلاء يقولون (في أصدق): أزدق. وقد قالوا: الأَزْد والأَسْد، ولسق به ولصق به. و ﴿الصِّرَاطَ﴾ نصب على المفعول الثاني؛ لأن الفعل من الهداية يتعدى إلى المفعول الثاني بحرف جر، قال الله تعالى: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣]. وبغير حرف كما في هذه الآية. ﴿الْمُسْتَقِيمَ﴾ صفة لـ ﴿الصِّرَاطَ﴾ وهو الذي لا اعْوجَاج فيه ولا انحراف ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. وأصله مُستقْوِم، نقلت الحركة إلى القاف وانقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها.

التاسعة والعشرون: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿صِرَاطَ﴾ بدل من الأوّل بدل الشيء من الشيء؛ كقولك: جاءني زيد أبوك. ومعناه: أدِم هدايتنا، فإن الإنسان قد يُهدَى إلى الطريق ثم يُقطع به. وقيل: هو صراط آخر، ومعناه العلم بالله جلّ وعزّ والفهم عنه؛ قاله جعفر بن محمد. ولغة القرآن ﴿الَّذِينَ﴾ في الرفع والنصب والجر؛ وهُذَيل تقول: اللّذُون في الرفع، ومن العرب من يقول: اللذو، ومنهم من يقول: الذي؛ وسيأتي.

وفي ﴿عَلَيْهِمْ﴾ عشر لغات؛ قرئ بعامتها: «عليهُمْ» بضم الهاء وإسكان الميم. ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بكسر الهاء وإسكان الميم [٣]. و«عليهِمِي» بكسر الهاء والميم وإلحاق ياء بعد الكسرة. و«عليهِمُو» بكسر الهاء وضم الميم وزيادة واو بعد الضمة. و «عليهُمُو» بضم الهاء والميم كلتيهما وإدخال واو بعد الميم. و «عليهُمُ» بضم الهاء والميم من غير زيادة واو. وهذه الأوجه الستة مأثورة عن الأئمة من القرّاء. وأوجه أربعة منقولة عن العرب غير محكية عن القرّاء: «عليهُمِي» بضم الهاء وكسر الميم وإدخال ياء بعد الميم؛ حكاها الأخفش البصري عن العرب. و«عليهُمِ» بضم الهاء وكسر الميم من غير زيادة ياء. و«عليهِمُ» بكسر الهاء وضم الميم من غير إلحاق واو. و«عليهِمِ» بكسر الهاء والميم ولا ياء بعد الميم. وكلها صواب؛ قاله ابن الأنباري.

الموفية ثلاثين: قرأ عمر بن الخطاب وابن الزبير رضي الله عنهما «صراط مَن أنعمت عليهم». واختلف الناس في المُنْعَم عليهم؛ فقال الجمهور من المفسرين: إنه أراد صراط النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين. وانتزعوا ذلك من قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]. فالآية تقتضي أن هؤلاء على صراط مستقيم، وهو المطلوب في آية الحمد؛ وجميع ما قيل إلى هذا يرجع، فلا معنى لتعديد

---

(١) كذا في تفسير ابن عطية (١/ ١١٨).

(٢) أخبر ابن عطية في تفسيره (١/ ١١٨) أن ابن كثير وجماعة من العلماء قرؤوا: «السراط» وباقي السبعة قد قرأ ـ غير حمزة ـ بصاد خالصة، وقرأ حمزة بين الصاد والزاي.

(٣) ضم الهاء قراءة حمزة، والباقون كسروها، وهما سبعيتان متواترتان كما في الإقناع (٢/ ٥٩٥).

الأقوال والله المستعان.

الحادية والثلاثون: في هذه الآية ردّ على القَدَرية والمعتزلة والإمامية، لأنهم يعتقدون أن إرادة الإنسان كافية في صدور أفعاله منه، طاعةً كانت أو معصيةً؛ لأن الإنسان عندهم خالق لأفعاله، فهو غير محتاج في صدورها عنه إلى ربه؛ وقد أكذبهم الله تعالى في هذه الآية إذ سألوه الهداية إلى الصراط المستقيم؛ فلو كان الأمر إليهم والاختيار بيدهم دون ربهم لما سألوه الهداية، ولا كرروا السؤال في كل صلاة؛ وكذلك تضرعهم إليه في دفع المكروه؛ وهو ما يناقض الهداية حيث قالوا: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ .فكما سألوه أن يهديهم سألوه ألا يُضلّهم، وكذلك يدعون فيقولون: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران:٨] .

الثانية والثلاثون: قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ اختلف في ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ و﴿الضَّالِّينَ﴾ من هم؟ فالجمهور أن المغضوب عليهم اليهود ، والضالين النصارى، وجاء ذلك مفسرا عن النبي ﷺ في حديث عَدي بن حاتم وقصة إسلامه، أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده والترمذي في جامعه[1]. وشهد لهذا التفسير أيضا قوله سبحانه في اليهود: ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [البقرة:٦١]. وقال: ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح:٦]. وقال في النصارى: ﴿قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة:٧٧]. وقيل: ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ المشركون. و﴿الضَّالِّينَ﴾ المنافقون. وقيل: ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هو من أسقط فرض هذه السورة في الصلاة ،و﴿الضَّالِّينَ﴾ عن بركة قراءتها. حكاه السلمي في حقائقه والماوردي في تفسيره وليس بشيء. قال الماوردي: وهذا وجه مردود؛ لأن ماتعارضت فيه الأخبار وتقابلت فيه الآثار وانتشر فيه الخلاف لم يجز أن يطلق عليه هذا الحكم. وقيل ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ باتباع البدع و﴿الضَّالِّينَ﴾ عن سنن الهدى.

قلت: وهذا حسن؛ وتفسير النبيّ ﷺ أولَى وأعلى وأحسن. و﴿عَلَيْهِمْ﴾ في موضع رفع، لأن المعنى غضب عليهم. والغضب في اللغة الشدّة. ورجل غضوب أي شديد الخُلُق. والغَضُوب: الحية الخبيثة لشدّتها. والغَضْبَة: الدَّرَقَة من جلد البعير يُطوى بعضها على بعض؛ سُمِّيت بذلك لشدّتها. ومعنى الغضب في صفة الله تعالى إرادة العقوبة، فهو صفة ذات، وإرادة الله تعالى من صفات ذاته؛ أو نفس العقوبة، ومنه الحديث: «إن الصدقة لتطفئ غضب الرب»[2] فهو صفة فعل.

الثالثة والثلاثون: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ الضلال في كلام العرب هو الذهاب عن سنن القصد وطريق الحق، ومنه: ضل اللبن في الماء، أي: غاب. ومنه﴿أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ [السجدة:١٠] أي: غبنا بالموت وصرنا ترابا، قال:

ألم تَسْألْ فَتُخْبِرَكَ الدِّيارُ عن الحَيِّ المُضَلَّل أيْنَ ساروا

والضُّلَضِلَة: حجر أملس يردّده الماء في الوادي. وكذلك الغضبة: صخرة في الجبل مخالفةٌ لونَه،

---

(١) صحيح : الترمذي (٢٩٥٤) في التفسير، وصححه الألباني هناك ، وابن حبان (٦٢٤٦) في صحيحه .

(٢) صحيح : الترمذي (٦٦٤) في الزكاة ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، وحسنه الهيثمي (٣/ ١١٥) في المجمع من رواية الطبراني عن أبي أمامة .

قال:

أَوْ غَضْبَة في هَضْبَةٍ ما أمْنَعا

الرابعة والثلاثون: قرأ عمر بن الخطاب وأُبَيّ بن كعب: «غير المغضوب عليهم وغير الضالين»[1]، وروي عنهما في الراء النصب والخفض في الحرفين؛ فالخفض على البدل من ﴿الَّذِينَ﴾ أو من الهاء والميم في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أو صفة للذين و﴿الَّذِينَ﴾ معرفة ولا توصف المعارف بالنكرات ولا النكرات بالمعارف، إلا أنّ ﴿الَّذِينَ﴾ ليس بمقصود قصدهم فهو عام؛ فالكلام بمنزلة قولك: إني لأمُرّ بمثلك فأكرمه؛ أو لأن «غير» تعرّفت لكونها بين شيئين لا وسط بينهما، كما تقول: الحيّ غير الميت، والساكن غير المتحرّك، والقائم غير القاعد، قولان: الأوّل للفارسيّ، والثاني للزمخشريّ. والنصب في الراء على وجهين: على الحال من ﴿الَّذِينَ﴾، أو من الهاء والميم في ﴿عَلَيْهِمْ﴾، كأنك قلت: أنعمت عليهم لا مغضوباً عليهم. أو على الاستثناء، كأنك قلت: إلا المغضوب عليهم. ويجوز النصب بأعني؛ وحُكي عن الخليل.

الخامسة والثلاثون: «لا» في قوله: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ اختلف فيها، فقيل: هي زائدة؛ قاله الطبريّ. ومنه قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢]. وقيل: هي تأكيد دخلت لئلا يتوهم أن ﴿الضَّالِّينَ﴾ معطوف على ﴿الَّذِينَ﴾، حكاه مكيّ والمهدويّ. وقال الكوفيون: «لا» بمعنى غير، وهي قراءة عمر وأُبَيّ؛ وقد تقدّم.

السادسة والثلاثون: الأصل في ﴿الضَّالِّينَ﴾: الضالّلين حذفت حركة اللام الأولى ثم أدغمت اللام في اللام فاجتمع ساكنان مَدّة الألف واللام المدغمة. وقرأ أيوب السختيانيّ: «ولا الضألين» بهمزة غير ممدودة؛ كأنه فرّ من التقاء الساكنين وهي لغة. حكى أبو زيد قال: سمعت عمرو بن عُبيد يقرأ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩]، فظننته قد لحن حتى سمعت من العرب: دأبّة وشأبّة. قال أبو الفتح: وعلى هذه اللغة قول كُثَيِّر:

إذا ما العَوَالي بالعبيط احمأرّت

نجز تفسير سورة الحمد، ولله الحمد والمنة

---

(١) هي قراءة تفسيرية، ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز (١/١٢٨).

تفسير ســورة البقرة

«بحول الله وكرمه ولا رب سواه»

وأوّل مبدوء به الكلامُ في نزولها وفضلها وما جـاء فيها؛ وهكذا كلّ سورة إن وجدنا لها ذلك؛ فنقول: سـورة البقـرة مَدَنيَّة، نزلت في مُدَد شتّى. وقيـل: هي أوّل سورة نزلت بالمدينـة، إلا قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] فإنه آخر آية نزلت من السماء[١]، ونزلت يوم النَّحْر في حِجّة الوَدَاع بِمِنًى؛ وآيات الربا أيضاً من أواخر ما نزل من القرآن.

وهذه السورة فضلهـا عظيم وثوابها جسيم. ويقـال لها: فسطاط القرآن؛ قاله خـالد بن مَعْدَان. وذلك لعظمها وبهائهـا، وكثرة أحكامها ومواعظها. وتعلّمـها عمر رضي الله عنه بفقههـا وما تحتوي عليه في اثنتي عشرة سنة، وابنُه عبدُ اللَّه في ثماني سنين[٢] كما تقدّم.

قال ابن العـربي: سمعت بعض أشـياخي يقول: فـيها ألفُ أمْـر وألف نَهْي وألف حُكْم وألف خبر[٣]. وبَعثَ رسول الله ﷺ بَعْـثاً وهم ذوو عدد وقدّم عليـهم أحدثَهم سنًّا لحفظه سورة الـبقرة، وقال له: «اذهب فأنت أمـيرهم» أخرجه الترمذي عن أبي هريرة وصـححه[٤]. وروى مسلم عن أبي أمامة الباهليّ قال سـمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرؤوا سورة البقرة فإنّ أخذها بركـة وتركَها حسرة ولا يستطيعـها البَطَلَة»[٥]، قال مـعاوية: بلغني أن البطلة: السحـرة. وروي أيضاً عن أبي هريرة أن رسول الـله ﷺ قال: «لا تجـعلوا بيوتكم مـقابر إنّ الشـيطان ينفر من البـيت الذي تُقـرأ فـيه سورة البقرة»[٦].

وروى الدارميّ عن عبـد اللَّه قال: ما من بيت يُقرأ فـيه سورة البقرة إلا خـرج منه الشيطان وله ضراط[٧]. وقال: إن لكل شيء سَنامـاً وإن سَنام القرآن سورةُ البقرة، وإن لكل شـيء لُبابا وإن لُباب القرآن المفصّل. قال أبو مـحمد الدارميّ: اللُّباب: الخالص. وفي صحيح البُسْـتِيّ عن سهل بن سعد قال قال رسول الله ﷺ: «إن لكل شـيء سَناماً وإن سَنام القرآن سورة البقرة ومن قرأهـا في بيته ليلاً لم يدخل الشيطان بيته ثلاثَ ليال، ومن قرأها نهاراً ،لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام»[٨].

(١) صحيح : البخـاري (٤٥٤٤) في التفسير ، عن ابن عباس رضي الله عنهـما ، وكذا رواه الواحدي برقم (٩) في التفسير عن عطية العوفي.

(٢) سبق تخريجه .

(٣) أحكام القرآن (١/ ١٥) والكلام بعده مستأنف له أيضًا .

(٤) صحيح : الترمذي (٢٨٧٦) في فضائل القرآن ، وابن ماجه (٢١٧) في المقدمة، وضعفه الألباني .

(٥) صحيح : مسلم (٨٠٤) في صلاة المسافرين وقصرها .

(٦) صحيح : مسلم (٧٨٠) في صلاة المسافرين وقصرها .

(٧) ضعيف : الدارمي (٢/ ٣٥٩) ، وفيه فطر بن خليفة وضعفه بعضهم .

(٨) حسن : الدارمي (٣٣٧٧) في سننه ، وحسنه الألباني (٥٨٨) في الصحيحة .

قال أبو حاتم البُسْتِيّ: قوله ﷺ: «لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام» أراد: مردة الشياطين.

وروى الدّارِميّ [(١)] في مسنده عن الشَّعْبِيّ قال قال عبد اللَّه: مَن قرأ عشر آيات من سورة البقرة في ليلة لم يدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة حتى يُصبح؛ أربعاً من أوّلها وآية الكرسي وآيتين بعدها وثلاثا خواتيمها، أوّلها: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ ﴾[(٢)] [البقرة:٢٨٤]. وعن الشعبي عنه: لم يَقربه ولا أهلَه يومئذ شيطان ولا شيء يكرهه، ولا يُقْرَأن على مجنون إلا أفاق[(٣)]. وقال المغيرة بن سبيع وكان من أصحاب عبد اللَّه: لم ينس القرآن. وقال إسحق بن عيسى: لم ينس ما قد حَفِظ[(٤)]. قال أبو محمد الدارمي: منهم من يقول: المغيرة بن سميع.

وفي كتاب «الاستيعاب» لابن عبد البر: وكان لَبِيد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من شعراء الجاهلية، أدرك الإسلام فحسُن إسلامه وترك قولَ الشعر في الإسلام، وسأله عمر في خلافته عن شعره واستنشده؛ فقرأ سورة البقرة؛ فقال: إنما سألتك عن شعرك؛ فقال: ما كنتُ لأقول بيتاً من الشعر بعد إذ علّمني الله «البقرة وآل عمران» فأعجب عمر قولُه؛ وكان عطاؤه ألفين فزاده خمسمائة. وقد قال كثير من أهل الأخبار: إن لبيدا لم يقل شعرا منذ أسلم. وقال بعضهم: لم يقل في الإسلام إلا قوله:

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي حتى اكتسيْتُ من الإسلام سِربالا

قال ابن عبد البر: وقد قيل: إن هذا البيت لقَرَدَة بن نُفَاثَة السّلولي، وهو أصح عندي[(٥)]. وقال غيره: بل البيت الذي قاله في الإسلام:

ما عاتب المرءَ الكريمَ كنفسه والمرءُ يصلحه القَرِينُ الصالح

وسيأتي ما ورد في آية الكرسي وخواتيم «البقرة»، ويأتي في أوّل سورة «آل عمران» زيادة بيان لفضل هذه السورة؛ إن شاء الله تعالى.

---

(١) ضعيف الإسناد وهو صحيح المعنى: ابن حبان (٧٨٠) في صحيحه، وأبو يعلى (٧٥٥٤) في مسنده، وقال الألباني بعد الكلام عليه في الضعيفة برقم (١٣٤٨): «وبالجملة فالحديث ضعيف، غير أن طرفه الأول قد وُجد ما يشهد له من حديث عبد الله بن مسعود»، ثم قال: «وهو مخرج في الصحيحة (١٣٣١)».
قلت: وانظر: ضعيفِ الجامع (١٩٣٣).

(٢، ٣) منقطعان: الشعبي لم يسمع من ابن مسعود اتفاقًا، كما في جامع التحصيل (١/ ٢٠٤).
والأثر عند الدارمي (٢/ ٥٤١) في سننه.

(٤) رواه الدارمي (٢/ ٥٤١) في سننه.

(٥) انظر: الاستيعاب (٣/ ١٣٣٥) وما بعدها بتحقيقي.